أَثَرُ اضْطِرَابِ الوِسْوَاسِ القَهْرِيّ فِي شِعْرِ ابْنِ الرُّومِيّ

د . مروة شحاته محمود الشقرفي
مدرس الأدب العربيّ
قسم اللغة العربيَّة وآدابها واللغات الشرقيَّة وآدابها
كليَّة الآداب – جامعة دمنهور

اصدار نوفمبر لسنة 2016 م
شعبة النشر والخدمات المعلوماتية

المُلَخَّص

يهدف هذا البحث إلى تَقَصِّي أثر اضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ في أفكار ابن الروميّ وأفعاله ومِنْ ثَمَّ شعره ، ذلك الاضطراب الذي يُعَبِّرُ عن صراع نفسيّ حادّ بين رغبات تُلِحّ كي تُشْبَع ، ولكنها تَلْقَى مقاومة خُلُقِيَّة ضارية ؛ لأنَّ الفردَ يعيشها بوصفها رغباتٍ غير مقبولة .

وقد ترك ذلك الاضطراب أثره في سلوك الشاعر وشعره ، وجعله مدفوعًا بشعور باطنيّ قاهر لا يملك له دفعًا ، وقُوَّة خَفِيَّة لا يدري ما كُنهها ؛ ليخضع لأفكار تسلطيَّة وأفعال قهريَّة .

فالوِسْوَاس القَهْرِيّ اضْطِرَاب نفسيّ يتضمن شعور أليم لصاحبه ، ويؤثر في علاقته بالآخرين ، كما أنه بداية لكثير من الاضطرابات والمشكلات النفسيَّة .

وقد جاء البحثُ في تمهيدٍ وثلاثة مباحث وخاتمة ، واشتمل التمهيد على تعريف بمصطلح (اضطراب الوِسْوَاس القَهْرِي) ، إلى جانب عرض النظريات المُفَسِّرَة للسُّلُوك القهريّ ، واعتراف ابن الرومي بأنه مُوَسْوِس فِي شِعْرِه .

وتناول المَبْحَثُ الأَوَّل أَسْبَاب إِصَابة ابْن الرُّومِيّ بِاضْطِرَابِ الوِسْوَاس القَهْرِيّ ، ورصد المَبْحَثُ الثَّانِي أَعْرَاضُ اضْطِرَاب الوِسْوَاس القَهْرِيّ عِنْدَ ابْن الرُّومِي ، وعرض المَبْحَثُ الثَّالِثُ الأنماط السلوكيَّة في شعر ابْن الرُّومِي .

وقد انتهيتُ إلى أن هناك علاقة وثيقة بين إبداع ابن الرُّومِيّ الفنيّ ومرضه النفسيّ والجسميّ ؛ فقد سيطر هذا الاضطراب على شخصيته ، وإليه يرجع تناقضه ؛ فقد كَشَفَ البحثُ عن إصابته بالوِسْوَاس القَهْرِيّ ، وأقام الدليل على ذلك .

وقد اتبعتُ المنهج النفسيّ ، الذي يهدف إلى دراسة السلوك الإنسانيّ ، واستعنتُ بالمنهجَ الفنيَّ في جمع النصوص وتذوّقها ، كما استفدتُ من المنهج التاريخيّ ، الذي يَنْظُرُ إلى الشاعر بوصفه نتاجًا لمرحلةٍ تاريخيَّة واجتماعيَّة بعينها .

مُقَدِّمَة

لقد أسهمت جملةٌ من الأسباب والمؤثرات مجتمعة في تكوين عبقريَّة ابن الروميّ وتوقُّد ملكته الشعريَّة ، منها : الأُصُول الروميَّة والفارسيَّة التي ينحدر منها ، والقرن الثالث الهجريّ - عصر المتناقضات - الذي نَشَأَ فيه ، والمدارس الكلاميَّة التي تَرَدَّدَ عليها ، والفلسفة التي تعاطاها ، والمِزَاج الشخصيّ الحادّ ، والبيئة المحيطة به والمُحْبِطَة له ، إلى جانب الأسباب المَرَضِيَّة القهريَّة التي استَبَدَّتْ به ، والحسّ المستوفز النَّهِم الذي لا يعرف الشبع .

وهو نَسِيجُ وَحْدِهِ في الشعر العربيّ ، انفرد بخصائص مَيَّزَتْهُ عن غيره ؛ فقد اتسمت ثقافته بعُمْق التفكير ، ودِقَّتِه ، ووُضُوح التَّخَيُّل ، والنُّزُوع إلى استخراج المعاني ؛ فإنَّ لديه مَلَكَةً مطبوعة على التصوير أنتجت صُوَرًا نَدَرَ أن نَجِدَ لَهَا نظيرًا في الشعر العربيّ ، وترجع قيمة شعره إلى أنه يُعَبِّر عن نفسيته ، ويُصَوِّرُ شخصيته ، ويَبُوح بمكنون ذاته ، ويَدُلُّ على نزعاته الحسيَّة العنيفة ؛ فضلاً عن كونه يَزْخَر بالآراء الفلسفيَّة والأدلة المنطقيَّة ، ويُصَوِّر - في الوقت نفسه - كثيرًا من جوانب البيئة والعصر .

والوِسْوَاس القَهْرِيّ مَرَضٌ نَفْسِيّ يحول دون سُلُوكِ المريض سُلُوكًا سَوِيًّا ، وهو مِن الاضطرابات النفسيَّة التي تُسَبِّبُ ألمًا ومعاناة ، ويندرج تحت تصنيف عريض هو (اضطرابات القلق) ، وهو اضطراب نفسيّ ينعكس على الجسم ؛ فيصاب ببعض الأمراض والاضطرابات النفسيَّة الجسميَّة ، ويتكون السُّلُوك القهريّ عندما يكتشف الفرد أن سلوكًا معينًا يُخَفِّف القلق المرتبط بالفكر الوسواسيّ .

وهناك نوعان رئيسان لاضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ : يتمثل النوع الأول في الأفكار الوسواسيَّة ؛ حيث تتكرر هذه الأفكار على ذهن المُصَاب ، دون أن يقدر على دفعها ؛ فهي أفكار تقهره ، وتحشد نفسها في ذهنه رغمًا عنه ، ويتمثل النوع الثاني في شعور المريض برغبة مُلِحَّة في القيام ببعض الأعمال السخيفة وغير المنطقية ، أو يشعر بالدافع الشديد ليُكَرِّرَ عادات معينة .

ولم تكن شخصيَّة ابن الرُّومِيّ شخصيَّة سَوِيَّة ؛ فقد ظهرت عليها سمات المرض النفسيّ والعقليّ ، كما انفردت بمواقف غريبة اسْتَعْصَتْ على القياس بضوابط العقل والمَنْطِق ، وغيرُ خافٍ أن الاضطرابات النفسيَّة تُؤَثِّرُ في فاعليَّة أداء الإنسان ، وتَنْجُم عن تفاعُل الفرد مع بيئته الماديَّة ، والاجتماعيَّة ، والنفسيَّة ، وتتضمن مشكلات في التفكير والسُّلُوك والمشاعر.

أَهْدَاف البَحْث :

يهدف هذا البحث إلى التدليل - من خلال الشواهد والأخبار المختلفة - على إصابة ابن الرُّومِيّ باضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ ، وتَقَصِّي أسباب نشأة أو تكوين هذا

الاضطراب ، وأثره في أفكاره وأفعاله ومِنْ ثَمَّ شعره ، ومعرفة دوره في سُلُوكِه الاجتماعيّ ، ورصد الأنماط السلوكيَّة في شعره ؛ بُغْيَة كشف الصِّلة بين إبداعه وعِلَّته .

ويحاول هذا البحث أن يجيب عن السؤال الآتي : لماذا كان الرُّومِيّ مُوَسْوِسًا ؟ وما دلالة وساوسه ؟

حيث إنه لم تخصص دراسة مستقلة - فيما أعلم - تناولت أثر اضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ في شعر ابن الرُّومِيّ .

مَنْهَج البَحْث :

استعنتُ بالمنهج النفسيّ ، الذي يحاول تفسير سلوك الشاعر عن طريق معرفة المُؤَثِّرات التي أسهمت في تكوين شخصيته ، وتشكيل دوافعه ، وتحديد استجاباته تجاه المواقف المختلفة ، ويفيد في الكشف عن غوامض وخبايا العمل الفنيّ وصاحبه ، بالإضافة إلى المنهج الفنيّ ، الذي يُعِينُ على تذوُّق الشعر ، والمنهج التاريخيّ الذي يتخذُّ من حوادث التاريخ السياسيّ والاجتماعيّ وسيلةً لتفسير الشعر .

وقد جاء البحثُ في تمهيدٍ وثلاثة مباحث وخاتمة ، واشتمل التمهيد على تعريف بمصطلح (اضطراب الوِسْوَاس القَهْرِي) ، إلى جانب عرض النظريات المُفَسِّرَة للسُّلُوك القهريّ ، واعتراف ابن الرومي بأنه مُوَسْوِس فِي شِعْرِه .

وتناول المَبْحَثُ الأَوَّل أَسْبَاب إِصَابة ابْن الرُّومِيّ بِاضْطِرَابِ الوِسْوَاس القَهْرِيّ ، ورصد المَبْحَثُ الثَّانِي أَعْرَاضُ اضْطِرَاب الوِسْوَاس القَهْرِيّ عِنْدَ ابْن الرُّومِي ، وعرض المَبْحَثُ الثَّالِثُ الأنماط السلوكيَّة في شعر ابْن الرُّومِي .

تمهيد :

اضْطِرَاب الوِسْوَاس القَهْرِي (Obsessive Compulsive disorder) :

الوِسْوَاس القَهْرِيّ حالة اضطراب نفسيّ تتميز بتسلُّط الوساوس والشكوك والمخاوف على ذهن المريض ، وهو من أخطر الأمراض العصابيَّة ، وأكثرها شيوعًا ، ويَدُلُّ على اضطراب انفعاليّ ، ويُعَبِّر عن صراع حادّ بين رغبات تُلِحّ كي تُشْبَع ، ولكنها تلقى مقاومة خُلُقِيَّة ضاريَة ؛ لأنَّ الفردَ يعيشها بوصفها رغباتٍ غير مقبولة [1].

ويُعرَّف الاضطراب النفسيّ بأنه جُمْلَة من الأنماط أو المتلازمات السلوكيَّة والنفسيَّة ذات الدلالة الإكلينيكيَّة ، والمرتبطة بوجود حالات من الضيق (كأن تكون الأعراض مُؤْلِمَة) ، أو العَجْز (أي الضعف في ناحية أو أكثر من النواحي الوظيفيَّة) ، أو زيادة احتمال المعاناة ، أو الموت ، أو الألم ، أو فقدان الحريَّة بشكل أكبر[2] .

وعندما يحدث الاضطراب النفسيّ لا يشمل جانبًا واحدًا من الشخصيَّة ، إنما يشمل أربعة عناصر هي : السُّلُوك الظاهر (الأفعال الخارجيَّة) ، والانفعال (التغيُّرات الفسيولوجيَّة) ، والتفكير(طرق التفكير) ، والقِيَم والتفاعل الاجتماعيّ (العلاقات بالآخرين) .

ويَدُلُّ الاضطراب النفسيّ على وجود مشكلات في مظاهر تنظيم وتكامل وظائف الشخصيَّة ، ويُمْكِن أن تُرَدَّ الاضطرابات النفسيَّة إلى وجود صراعات داخليَّة لاشعوريَّة ، وقُوَى متصارعة تعمل داخل الشخصيَّة الإنسانيَّة .

ويأتي الوسواس القهري على هيئة أفكار وسواسية تسلطيَّة وأفعال قهريَّة ، وأوَّل مَنْ استخدم اصطلاح الوِسْوَاس القَهْرِيّ هو الألماني كارل فيستال سنة 1878م [3] ، ويُعَدُّ أحد أنواع القلق النفسيّ ؛ إذ إن القلق هو محور هذا الاضطراب ؛ فالأفكار أو الأفعال هي التي تزيد أو تُخِفِّف من درجة القلق ، وقد لاحظ سيجموند فرويد (Sigmund Freud) أن المرضى المصابينَ باضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ عندما يُمْنَعُونَ من القيام بأعمالهم وحركاتهم القهريَّة يشعرون بقلقٍ شديد ، وهم لا يستطيعون تَجَنُّب هذا القلق إلا باستئناف القيام بهذه الحركات القهريَّة ، التي تقوم بإخفاء القلق ؛ فالأعراض قد حَلَّتْ مَحَلّ القلق [4] .

ويُعَبِّر هذا الاضطراب عن حالات سلوكيَّة شاذّة ؛ حيث تسيطر على المريض مجموعة متنوعة من الأفكار التي تتخذ طابعًا قهريًّا ، ويَجِدُ نَفْسَهُ مُرْغَمًا على القيام بها ، وهي أفكار تَسَلُّطِيَّة غير منطقيَّة ، لم يخترعها ، ولا تَلَقَّاهَا من الخارج ، بل هي موجودة في تفكيره ، ولا تَتَّفِقُ مع واقع وحقائق الأشياء ، ويحاول رفضها أو مقاومتها وإهمالها ، ولكنها تُعَاوِدُهُ من جديد ، وهي تأخذ صفة القهر والاقتحام ، وتُلازم المريض ، وتُؤَدِّي إلى ضيق وقلق ملحوظ ، ويسيطر هذا التفكير الوسواسيّ على ساحة الوعي[5] ؛ فالوِسْوَاس فِكْرٌ مُتَسَلِّط ، يقوم الفرد باجتراره ، أو تَخَيُّلات تقتحم

العقل ، وتستحوذ عليه ، وهو يُحَرِّكُ كثيرًا من سُلُوك الإِنْسَان بشكل مباشر أو غير مباشر ، كما « يَتَحَكَّم تَحَكُّمًا تامًّا في الوظائف الشعوريَّة ، ويُلِحُّ على الفرد بصفة مستمرة ، مُجْبِرًا إِيَّاهُ على التفكير والاعتقاد والفعل بطريقة معينة قد تستحوذ على الفرد دون أن يستطيع مقاومتها والتخلُّص منها » [6] .

وعادةً ما يُصَاحِبُ هذا التفكير الوِسْوَاسِيّ أفعال سلوكيَّة تأخذ طابع الحركات الطقسيَّة [7] ، وهذه الأفعال القهريَّة تُرَاوِد المريض ، وتعاوده ، وتلازمه ، دون أن يستطيع طردها ؛ فيجد نفسه مُنْدَفَعًا لتحقيقها ومُلْزَمًا بتكرارها ؛ فالقهر سلوك جَبْرِيّ ، أو فَلْنَقُلْ « قُوَّة بَاطِنَة لا تُقَاوَم ، وتُجْبِرُ على أداء فعل مُعَيَّن ، ضد إرادة الفرد الذي يؤديه ، وهو سلوك غير عقليّ يشعر الفرد أنه لا بُدَّ من القيام به »[8] ، وعلى الرغم من سخافة هذه الأفعال « فإنها تُؤَدِّي إلى كَفِّ القلق والتوتُّر ، ولكن دون أن تصل إلى حالة الإشباع واللذَّة » [9] .

وقد عَرَّفَ أحمد محمد عبد الخالق الوَسَاوِس بأنها « أفكار مُدَاوِمة مُسْتَمِرَّة تقتحم عقل الفرد بشكل مُلِحّ وعنيد بحيث لا يمكنه السيطرة عليها ، أو التحكُّم فيها ، أو استبعادها من حيز الشعور لديه » [10] ، وصَرَّحَ بأن « محتويات الوساوس كثيرة ومختلفة ، ومن الممكن أن تتضمن الوساوس القهريَّة التفكير الدائم غير الحاسم بالنسبة لموضوعات ميتافيزيقيَّة » [11] .

وعَرَّفَ القَهْر بأنه « يتضمن أفعالاً وسلوكًا ظاهرًا وأنشطة كالطُّقُوس ، وهناك حاجة مَرَضِيَّة للقيام باندفاع مُعَيَّن غير معقول أو تافه أو غير ذي هدف ، كَغَسْلِ اليدينِ ، أو عَدّ الأشياء ، أو مراجعتها ، أو تغيير الملابس » [12] .

وأعراض اضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ هي الوِسْوَاس المُتَكَرِّر الذي يكون بدرجة شديدة ؛ مما يؤدي إلى ضيق شديد ، أو إلى الاستغراق في التفكير ؛ مما يؤدي إلى ضياع الوقت ، أو يؤثر بدرجة ملحوظة في العلاقة بالآخرين .

والخاصية البارزة المُمَيِّزَة للوساوس والأفعال القهريَّة إحساس الفرد بتملُّك وسيطرة فكرة وسواسية ذات إلحاح وتكرار على تفكيره ؛ فلا يملك دفعها أو مواجهتها .

ومن الملاحظ أن هذا الاضطراب يُؤَدِّي إلى تعطيل الحياة ، وذلك لانهماك المريض في إجراءات التفكير الوسواسيّ أو السلوكيات القهريَّة ، تاركًا ما يجب عليه القيام به من متطلبات الحياة ، مختارًا نمط من الحياة يتلاءم مع تلك المتطلبات بما يُخَفِّف حالة القلق التي تعتريه بشكل مستمر ، هذا إلى جانب الألم الجسديّ والإرهاق [13] .

ويعني اضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ وجود رغبات لاشعورية متصارعة تجد التعبير عنها في صورة الفكر الوسواسي والسلوك القهريّ ، ويتميز بالاجترار الذهنيّ

، والنكوص من الفعل إلى الفكر ، وبعزو علاقات سلبيَّة ، لا وجود لها إلا في ذهن المريض ، إلى العالم الخارجيَّ ، ومن هنا كان تطيُّر العصابيّ الوسواسيّ وإيمانه بالخرافة [14] ؛ فالوسواس يؤدي للتطيُّر .

ومن أعراضه : تسلُّط الوساوس والأوهام والمخاوف على ذهن المريض ، وإتيانه ببعض الأفعال والحركات غير الإراديَّة ، وفقدان الإرادة ، ونشاط الغرائز اللاشعوريَّة ، والشراهة ، والصلابة غير القابلة للاستسلام ؛ مما يؤدي إلى الإنهاك الشديد ، وسُوء التوافق ، وتدهور في شخصية المريض ، مع انطوائه وانعزاله عن المجتمع ، وفشل في التكيُّف مع البيئة الاجتماعيَّة ، واضطراب شديد في الوجدان والتفكير والإدراك .

وهذه الوساوس أو الصور العقلية يُجَرِّبُهَا الفرد على أنها مقتحمة لفكره وغير مقبولة ، وتسبب قلقًا واضحًا ، ومِمَّا يَدُلُّ على أنَّ ابن الرُّومِيّ في دخيلة نفسه مقتنع بعدم منطقية هذه الأمور ، وإن كان - في واقع الأمر- لا يستطيع التغلب على هذه الأفكار المتسلطة والأفعال القهريَّة ، أنه حَفِظَ الشعر الذي قاله بِرْذَعة صاحبُ المعتضد ، وفيه ينهى عن التفاؤل والتشاؤم معًا ، وحَلَفَ ألا يتطير أبدًا [15] ، ولكنه لم يلتزم بذلك .

ويتعذب مريض الوِسْوَاس القَهْرِيّ كثيرًا بسبب أعراض مَرَضِهِ المُزْعِجَة ، التي يعرف سُخْفَها ، ومع ذلك يجد نفسه مضطرًّا لتكرارها ، وفي هذا الصدد يقول أوبلر : « إنَّ الوسواسينَ قَومٌ فُضَلاء لكنهم غير سعداء »[16] .

ومِمَّا يجب توكيده أن الوسواسيّ لا يملك لنفسه من أمره رشدًا ؛ فَإِنَّ هذه الأفكار والأفعال القهريَّة تُخَفِّف من القلق والضيق ، كأنها حِيَل دفاعيَّة تَدْرَأُ عنه ما يُعَانِيه من تَوَتُّر نفسيّ موصول .

النظريات المُفَسِّرة للسُّلُوك القَهْرِيّ :

أَوَّلاً : نَظَرِيَّة التَّحْلِيل النَّفْسِيّ (Psychoanalysis theory) :

يَعُدُّ فرويد الوِسْوَاس ناتج عن صدمة جنسيَّة في الطفولة ، ويُفَسِّره على أنه استجابة دفاعيَّة نفسيَّة للدوافع اللاشعوريَّة ، ويركز اهتمامه على التفاعل بين الأم والطفل ، ويُعِدُّ عوامل العنف والاستقلال ذات أهميَّة خاصَّة ، وخصوصًا في فترة التدريب على ضبط التبوُّل والإخراج ، وكأنَّ الطفل يريد الحفاظ على شيء ثمين وهو البراز ، والأم تطالبه بالتخلِّي عنه ؛ حتى تكون سعيدة ، وقد طَوَّرَ مفهوم الخواص الشرجيَّة والشخصيَّة الشرجيَّة ، واقترح أن الدوافع العدوانيَّة مِن الوالدينِ يتم السيطرة عليها عن طريق السُّلُوك الوِسْوَاسِيّ القَهْرِيّ ، وفي ضوء هذه النظرية كان التساؤل : لماذا لم يحدث الوِسْوَاس وقت التدريب على ضبط الإخراج والتبوُّل ، وعند كُلِّ الناس ، وكان رَدُّ فرويد : إن تأخُّر الأعراض الوِسْوَاسيَّة لمرحلة لاحقة في الحياة يمكن تفسيره على أنه نكوص لمراحل مُبَكِّرة في التطوُّر النفسيّ ؛ حيثُ يُبَالِغُ هؤلاء المرضى في استعمال الحِيَل النفسيَّة الدفاعيَّة المختلفة للتغلب على حالة القلق ، وعلى ذلك فإنَّ كُلَّ ما يحمله الوِسْوَاس من المعاناة هو لإخفاء معاناة أكبر من ذلك بكثير [17] .

ثَانِيًا : النَّظَرِيَّة السُّلُوكِيَّة (Behavioral theory) :

تعتمد النظرية السُّلُوكِيَّة على نظرية التعلُّم في تفسير الوِسْوَاس القَهْرِيّ ؛ حيث تنظر هذه المدرسة إلى الوساوس على أنها تُمَثِّل مُنَبِّهًا أصبح مرتبطًا بالخوف أو القلق خلال عملية الاشتراط ، بعدما كان في السابق منبهًا محايدًا ، والوِسْوَاس القَهْرِيّ شأنه شأن أي سلوك نتعلمه من البيئة تحت شروط التدعيم ، ومن هنا فَإِنَّ الأفكار الوِسْوَاسِيَّة تكون لها القدرة على إثارة القلق ، والأعمال القَهْرِيَّة تَحْدُث عندما يكتشف الشخص أنَّ عملاً معينًا مرتبطًا بالأفكار الوِسْوَاسِيَّة قد يُخَفِّفُ من القلق ، وتدريجيًّا وبسبب الفائدة في تخفيف القلق ؛ فَإِنَّ هذا الفعل يصبح ثابتًا من خلال النموذج المُتَعَلِّم للسُّلُوك [18] .

ثَالِثًا : النَّظَرِيَّة المَعْرِفِيَّة (Cognitive theory) :

يُشِيرُ أصحاب النَّظَرِيَّة المَعْرِفِيَّة إلى أَنَّ العوامل المعرفيَّة ذات أهمية كُبْرَى في اضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ ؛ بوصفه مظهرًا لنمط مُعَيَّن ، وقد قَدَّمَ بارلد عام 1988م تَصَوُّرًا نَظَرِيًّا لأسباب اضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ فيه يؤدي إدراك الشخص للسيطرة دورًا بارزًا ، وتبدأ نظريته بالاعتراف بأَنَّ مُعْظَم الأسوياء تراودهم أفكار مُتَطَفِّلة لا تصبح لحوحة أو مزعجة ، ولكنها قد تهيئ المسرح لنمو هذا الاضطراب إذا تضافرت عِدَّة عَوَامِل في الوقت نفسه ، ومن ثَمَّ يُشَخَّص اضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ في ضوء النَّظَرِيَّة المَعْرِفِيَّة على أنه أفكار مُشَوَّشة ومُزْعِجَة ، ومُضَخَّمة وتَحْدُث مُصَادَفة ، وتكون مُحَرِّضَة لِتُصْبِح طبيعية وحقيقية ، أَمَّا السُّلُوك القَهْرِيّ ؛ فهو سلوك عَلَنِيّ مثل تكرار الاغتسال ، أو إعادة الفحص ، ويأخذ شكلاً من السلوك المَعْرِفِيّ ، وهذا التتابع من الأفكار والسلوك يقود إلى آلام وبؤس واضطراب ،

ويؤدي إلى السُّلُوك المُزْعِج ، إضافةً إلى الأفكار الانهزامية ، وإلى سلسلة من الخسائر المستمرة [19] .

ويَتَّضِحُ مِنْ عَرْضِ النَّظَرِيَّات المُفَسِّرة للوِسْوَاس القَهْرِيّ أنها تختلف من حيث الأسباب المُؤَدِّية لاضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ ، تبعًا للإطار النظريّ لِكُلٍّ منها ، ففي الوقت الذي ترى فيه نظريَّة التحليل النفسيّ أَنَّ السبب يعود إلى التثبيت في المرحلة الشرجيَّة ، تُرْجِعُ النَّظَرِيَّة السُّلُوكِيَّة السبب إلى المُنَبِّه الشَّرْطِيّ في إطار نَظَرِيَّة التَّعَلُّم ، أَمَّا النَّظَرِيَّة المَعْرِفِيَّة فإنها تعزو أسباب اضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ إلى العوامل المَعْرِفِيَّة [20] .

اعتراف ابن الرومي بأنه مُوَسْوِس فِي شِعْرِه :

اعترف ابن الرُّومِيّ في شعره بإصابته بالوِسْوَاس ، وأرجعه إلى سُوءِ الحَظِّ وإجحاف الأيام به ؛ فعندما رَدَّد الناشئ الأكبر (ت٢٩٣هـ) ما شاع عن الأَوَّل مِنْ رجَّة تفكيره ووسوسة خواطره ؛ ثار ابن الرُّومِيّ وأعلن أنه وُسْوِسَ بالفعل ، وله في ذلك عُذْرُهُ ؛ لأنه أصيب بالإحباط الشديد عندما ذاع شعر الناشئ عند الناس ، وصارت أشعاره تُدَرَّس ، يقول : (مجزوء الرمل)

يُرْجِفُ القِرْدُ بـأَنِّي ... زَائِلُ العَقْلِ مُـوَسْوَسْ
حَاوَلَ القِرْدُ لَعَمْرِي ... عَكْسَ أَمْرٍ لَـيسَ يُعْكَسْ
أَتُـرَاهُ يَـتَـظَـنَّـى ... أَنَّ عَينَ الشَّمْـسِ تُطْمَسْ ؟
إِنْ أُوَسْـوَسْ فَحَقِيـقٌ ... يُسْعَـدُ القِـرْدُ وَأُنْحَـسْ
أَصْبَحَ النَّاشِـئُ مِمَّـنْ ... يَتَغَنَّـى وَهْـوَ أَخْـرَسْ
نَافِقًـا عِنْـدَ أُنَـاسٍ ... تَعِسُوا ، وَالدَّهْرُ أَتْعَسْ
قُلْ لَهُ عَنِّي ، وَإِنْ أَصْـ ... ـبَحْتُ أَطْـرَى وَأَكْيَسْ :
تِهْ عَلَى الدَّهْرِ ، وَقُلْ مَا ... شِئْتَ وَاظْلِـمْ وَتَغَطْـرَسْ
لَمْ يُقَدَّسْ مِنْـكَ شَـيءٌ ... وَلَـكَ الجَـدُّ المُـقَـدَّسْ
كَيفَ لا يَشْتَـدُّ وَسْـ ... ـوَاسِي ، وَأَشْعَارُكَ تُدْرَسْ
وَضِيَاءُ الشَّمْـسِ لا يُقْـ ... ـبَسُ وَالظَّلْمَـاءُ تُقْبَسْ ؟
لَمْ أَكُـنْ أَنْفَسَ شَيئًـا ... وَعَلَى مِثْلِـكَ أَنْـفَسْ ؟
قِيـلَ لِي : إِنَّكَ شُعِّرْ ... تَ فَضَـاقَ المُـتَنَـفَّسْ
ثُمَّ عَـزَّيـتَ فُـؤَادِي ... بَعْـدَمَـا حَـارَ وَأَبْلَسْ
قُلْـتُ : إِنَّـا لَبِخَـيـرٍ ... إِنْ أَخُـونَا لَـمْ يُفَـرَّسْ
مَا اقْتَنَى مِثْلَكَ دَهْرُ السْـ ... ـسُوءِ إِلاَّ حِينَ أَفْلَسْ [21]

فقد استخدم في القصيدة السابقة ألفاظ : (مُوَسْوَسْ ، أُوَسْوَسْ ، وَسْوَاسِي) ، كما استخدم كلمة (وَسَاوِس) في قوله يهنئ عبيد الله بن عبد الله بولاية وليها : (الطويل)

بِهِ صَدَّقَ اللهُ الأَمَانِي حَدِيثَهَا وَقَدْ مَرَّ دَهْرٌ وَالأَمَانِي وَسَاوِسُ [22]

واستخدم كلمتي : (وَسْوَسَا ، وَسْوَسَةَ) في قوله : (الرجز)

إِذَا اسْتَدَارَ فِي المَشِيبِ وَسْوَسَا
وَسْوَسةَ الحِمِّ إِذَا تَحَسْحَسَا [23]

واستخدم كلمة (وَسْوَاس) في قوله : (البسيط)

يَرُدُّ عَنْهُ عُيُونَ الحَاسِدِينَ لَهُ وَكُلُّ سِحْرٍ وَوَسْوَاسٍ وَخَنَّاسِ [24]

وقوله : (الكامل)

أَمْ مَنْ تَهَشُّ لَهُ فَيَرْجُفُ قَلْبُهُ خَوفَ المَفَاقِرِ غَيرَ ذِي وَسْوَاسِ ؟ [25]

واستخدم كلمة (وَسْوَاسِكَ) في قوله : (الكامل)

سَلِّمْ لإِسْمَاعِيلَ ، إِنِّي نَاصِحٌ لَكَ ، وَالْهُ عَنْ وَسْوَاسِكَ الخَنَّاسِ [26]

واستخدم كلمة (وَسْوِس) في قوله : (السريع)

قُلْتُ لِمَنْ قَالَ اسْتَزِدْ فَضْلَهُمْ : جَاهِزْ بِتَهْدِيدِكَ ، أَو وَسْوِسِ [27]

واستخدم كلمة (وَسَاوِسُه) في قوله : (الطويل)

فَلَمَّا تَجَلَّى حِلُّهَا مِنْ حَرَامِهَا وَزَالَتْ عَنِ المُرْتَابِ فِيهَا وَسَاوِسُهْ [28]

واستخدم كلمة (تُوَسْوِسُ) في قوله : (الطويل)

وَإِنْ شِئْتُ أَلْهَانِي سَمَاعٌ بِمِثْلِهِ حَمَامٌ تَغَنَّي فِي غُصُونٍ تُوَسْوِسُ [29]

واستخدم كلمة (مُوَسْوِسًا) في قوله : (البسيط)

هَبَّتْ سُحَيرًا فَنَاجَى الغُصْنُ صَاحِبَهُ مُوَسْوِسًا ، وَتَنَادَى الطَّيرُ إِعْلانَا [30]

وهو يَصِفُ حَالَ مَنْ أُصِيبَ بهذا الوِسْوَاس في شعره بقوله : (مُذَبْذَبًا بَينَ شَتَّى لا إِلَى هَؤُلا وَلا هَؤُلاءِ) [31] ، وتَدُلُّ دِقَّة هذا الوصف على شِدَّة المُعَانَاة .

ويقول في ختام قصيدة في هجاء ابن الخَبَّازَة : (الخفيف)

هَاجِيًا ، مَادِحًا ، وَمُتَّخِذًا إِيـ ـاكَ مَلْهًى وَعُرْضَةَ اسْتِهْزَاءِ [32]

إنه يَتَلَهَّى بهذا الرجل ويعبث به يمينًا تارة ويسارًا أخرى ؛ فَيُلْقِي بِهِ إِلى أَسْفَل هاجيًا ، ثم يَقْذِفُ به إلى أعلى مادحًا ، وهذا التقلب والتذبذب هو نفسه اضطراب الوِسْوَاس الذي أُصِيبَ به ابن الرُّومِيّ .

وقد أَقَرَّ العَقَّاد (ت1964م) بإصابة ابن الرُّومِيّ باضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ ، يقول : « ونحسب أنَّ استقصاءه للمعاني الشعريَّة ، والإلحاح في تفريعها وتقليب جوانبها إن هو إلا علامة خفيفة من علامات هذا الوِسْوَاس الذي لا يريح صاحبه ، ولا

يزال يشككه ، ويتقاضاه التثبُّت والاستدراك ؛ فيُمْعِنُ ثُمَّ يُمْعِنُ حَتَّى لا يجد سبيلاً إلى الإمعان » [33] .

كما أشار صالح اليظي إلى ذلك أيضًا ، يقول : « فربما يُخَيِّلُ إليه وسواسه أَنَّهُ لم يَفْرُغْ من بَسْطِ ما لديه بسطًا كافيًا ؛ فيعاود الأمر ثُمَّ يعاوده ، وتلك حالة نفسيَّة معروفة »[34] .

لقد أنهك ابن الرُّومِيّ الوِسْوَاس القَهْرِيّ ، ثُمَّ افترسته العِلَل الجِسْمِيَّة والنفسيَّة الأخرى ، إنه يصف بدِقَّة مُتَنَاهِيَة حال مَنْ أصيب باضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ ؛ فهو يسلك مسلك المجانين في أفكارهم وأفعالهم ، وذلك على الرغم من سلامة عقله ، وما ذاك إلا لسيطرة هذا العُصَاب عليه وتمكُّنه منه ؛ بحيث لا يستطيع التخلُّص منه ، ويَصِيرُ أسيرًا لهلاوس وأوهام ، يقول : (البسيط)

أَغْوَى الهَوَى كُلَّ ذِي عَقْلٍ فَلَسْتَ تَرَى إلاَّ صَحِيحًا لَـهُ أَفْعَالُ مَجْنُونِ [35]

ويقول : (المتقارب)

وَقِيلَ وَإِنْ كَانَ ذَا حِكْمَةٍ : أَصَابَتْهُ طَائِفَةٌ مِنْ جُنُونِ [36]

ولعلَّ هذا ما دفعه إلى رؤية العصر مختلاًّ مترنحًا ؛ حتى إنك ترى الرجل الصحيح يأتي بأفعالٍ تُعَدُّ ضربًا من الجنون شأن العصر كله .

ويَغْلِبُ التكوين الجسميّ النحيف على مرضى هذا العُصَاب ، وقد كان ابن الرُّومِيّ « نحيلاً بَيِّن العصبيَّة في نحوله » [37] ، والدلائل على نحول جسده كثيرة في شعره ، منها قوله : (الخفيف)

أَنَا مَنْ خَفَّ وَاسْتَدَقَّ فَمَا يُثْـ ـقِلُ أَرْضًا ، وَلا يَسُدَّ فَضَاءَ

أَنَا لَيثُ اللُّيُوثِ نَفْسًا ، وَإِنْ كُنْـ ـتُ بِجِسْمِي ضَئِيلَةً رَقْشَاءَ[38]

وقوله : (الوافر)

يَقُولُ القَائِلُونَ: ضَوَيتَ جِدًّا وَلَمْ تُنْضِجْكَ أَرْحَامُ النِّسَاءِ

وَمِنْ إِنْضَاجِهَا إِيَّايَ أَعْرَتْ عِظَامِي مِنْ لُحُومِهِمُ الوِطَاءِ

إِذَا مَا كُنْتُ ذَا عُودٍ صَلِيبٍ فَيَكْفِينِي القَلِيلُ مِنَ اللِّحَاءِ [39]

يعترف ابن الرُّومِيّ في شعره بأنه نحيل الجسم ؛ حتى إنه عُيِّرَ بأنه وُلِدَ قبل أن يكتمل نموه في رحم أمه ، ولكنه رد على عائبه بأنه أُنْضِجَ تمامًا في رَحِمِ أُمِّه ، والدليل على ذلك أن عِظَامَهُ عَرَتْ من اللُّحُوم .

لقد أظهر شعر ابن الرومي معاناته من اضْطِرَابِ الوِسْوَاس القَهْرِيّ ، الذي جَلَبَ له الشقاء والعناء والفقر ؛ وجعله أشبه بالمجانين ، بعد أن استسلم لوساوسه وأفعاله القهريَّة ، وعجز عن مقاومتها ؛ فبَدَا سُلُوكُهُ للناسِ غريبًا غير مُبَرَّر ؛ فَتَجَنَّبَهُ الناسُ ، وأَهمله الحُكَّام .

المَبْحَثُ الأَوَّل : أَسْبَابُ إِصَابَةِ ابْنِ الرُّومِيّ بِاضْطِرَابِ الوِسْوَاسِ القَهْرِيّ

حَفَلَتْ حياة ابن الرُّومِيّ بِعَوَامل أَثَّرَتْ فِي شخصيته تأثيرًا ظَهَرَ فيما أبدع من شعر ؛ حتى إننا نجد جوانب نفسيَّة كثيرة مبثوثة في شعره تحكي نوازع نفسه .

ويبدأ اضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ من فكرة سخيفة تسيطر وتُلِحُّ على المضطرب ، وأوَّل أسبابه الضغوط النفسيَّة ، وترجع أسباب إِصَابة ابْن الرُّومِيّ به إلى الفشل في التعامل مع الآخرين ، والعجز عن حَلِّ بعض المشكلات ، والإحباط المستمر في المجتمع ، والتهديد المتواصل بالحرمان ، وفقدان الشعور بالأمن ؛ إنه يَنْقِمُ على المجتمع الذي عاش فيه ، ويَسْخَطُ على الناس ، ويتأفَّف من الحياة ، بعد أَنْ خَذَلَهُ أصدقاؤه ، وأقصاه الأمراء عن مجالسهم الخمرية ، وتُوُفِّيَ كثيرٌ من أفراد أسرته .

وقد أَدَّى رُسُوخُ هذا الشعور في نفسه إلى إصابته بهذا الاضطراب ، وفي نهاية الأمر وجد نفسه وحيدًا يعاني من الفقر ، والحرمان ، والعجز ، والخيبة ، والإحباط ، وقد تَمَلَّكَهُ الوِسْوَاس .

وعلى الرغم من أهمية الأحداث التي تقع في البيئة ، إلا أنها ليس لها الأهمية الأولى في حدوث الاضطراب ، بل إِنَّ ما يُؤَثِّرُ في الفرد هو ما يقوله في نفسه حول الأحداث التي يتعرض لها [40] .

ويُؤَكِّدُ عُلَمَاء النفس أَنَّ ظُهُورَ العُصَاب القَهْرِي يرتبط بشكل عام بالحرمان من الحُبّ والعاطفة ومِن التَّقَبُّل ، وعدم الرضا عن الذات وعن الآخرين ، وقد يبدأ المرض عقب وقوع حادث نفسيّ معين ، مثل خيبة الأمل ، والاصطدام بواقع الحياة ، وقد يكون السبب في نُكُوص ابن الرُّومِيّ وفي ظهور عُصَابِهِ القَهْرِيّ وقوع اضطراب حقيقيّ في حياته التناسليَّة التي كانت من قبل سليمة [41] .

وغيرُ خافٍ أن انعدام المساندة الاجتماعيَّة - بشقيها النفسيّ والماديّ - يُسْهِمُ في إضعاف إرادة الشخص ، وتقليل ارتباطه بالآخرين ، وزيادة مشاعر الضيق والملل والتوتُّر ، ويجعله غير قادر على مقاومة أحداث الحياة المُعَاكِسة ، أو تَجَاوُز الأزمات والمِحَن ؛ مما يوقعه فريسة لمشاعر اليأس ، والاكتئاب ، والشكوى من آلام جسميَّة مُتَعَدِّدَة .

العَجْزُ عَنْ مُسَايَرَةِ الوَاقِعِ :

أحسَّ ابن الرُّومِيّ بالعجز والاستسلام ؛ فقد تَكَالَبَتْ عليه الأمراض والعِلَل حتى أوهنت جسده ، وغَطَّى الشيبُ رَأْسَهُ مُبَكِّرًا ، وهو في الواحد والعشرين من عمره [42] ، أو في الخامسة والعشرين [43] ، وأصيب بالصلع ؛ لذا لَبِسَ العِمَامة [44] ، وكان يَسِيرُ متمايلاً ، يُغَرْبِلُ في مِشْيَتِهِ [45] ، وقد تَقَوَّسَ ظهره وانحنى[46] ، ودَبَّ الضَّعْف

في عظامه ، واضطر إلى الاستعانة بعصا ليتوكأ عليها [47] ، وضَعُفَ سَمْعُهُ ، واختلَّتْ رؤيته [48] ، وصار يرى الأشياء المفردة مُزْدَوَجَة [49] ، وأُصِيبَتْ إحدى عينيه بالعُوَّار [50] ، وقَبُحَ وَجْهُهُ ، وصار دميمًا يُفْزِعُ مَنْ يراه ، وضَعُفَتْ قُدْرَتُهُ الجنسيَّة [51] ، وأعرضت عنه الحِسَانُ [52] .

وعندما بَانَ شَبَابُهُ عَزَّ مَطْلَبُهُ ، يقول : (الوافر)

لَعَمْرُكَ : مَـا الحَيَـاةُ لِكُلِّ حَيٍّ إِذَا فَقَدَ الشَّبَـابَ سِوَى عَذَابِ [53]

فَإِنَّ الحياة بعد فقد الشباب لا تَعْنِي سِوَى العذاب المُتَوَاصِل ، يقول : (الطويل)

أَرَى المَرْءَ- مُذْ يَلْقَى التُّرَابَ بِوَجْهِهِ إِلَى أَنْ يُـوَارَى فِيهِ - رَهْنَ النَّوَائِـبِ

وَلَو لَـمْ يُصَـبْ إِلاَّ بِشَـرْخِ شَبَابِهِ لَكَانَ قَـدِ اسْتَـوفَى جَمِـيعَ المَصَائِبِ [54]

إِنَّ فَقْدَ الشباب استيفاءً للمِحَن والكوارث كافة ، وهو يعادل الموت في قسوته ، يقول : (الطويل)

وَفَقْدُ الشَّبَابِ المَوتُ ، يُوجَدُ طَعْمُهُ صُرَاحًا ، وَطَعْمُ المَوتِ بِالمَوتِ يُفْقَدُ [55]

إنه يُشَبِّهُ فَقْدَ الشبابِ ، ومِنْ ثَمَّ الوقوع في براثن الشيخوخة ، بطعم الموت صريحًا مُذَاقًا . ويُصَرِّح بأنه صار لا يسعد بما كان يَسْعَدُ به في زمن الشباب ، يقول : (المنسرح)

اكْتَهَلَتْ هِمَّتِي فَأَصْبَحْـتُ لا أَبْهَجُ بِالشَّيءِ كُـنْتُ أُبْهَجُ بِهْ

وَحَسْبُ مَنْ عَاشَ فِي خُلُوقَتِهِ خُلُوقَـةٌ تَعْتَـرِيهِ فِـي أَرَبِهْ [56]

لقد كانت حياة ابن الرُّومِيّ - كما يتضح من شعره - سلسلة من النكبات التي تَوَالَتْ عليه ؛ فقد ذَاقَ مَرَارَةَ الفقر ، واستجدى الثوب الذي يُوَارِي سوأته ، يقول : (الخفيف)

أَنَا ذَاكَ الذِي سَقَتْهُ يَـدُ السُّقْـ ـمِ كُئُـوسًـا مِـنَ المُـرَارِ رِوَاءَ

وَرَأيتُ الحِمَامَ فِي الصُّوَرِ الشُّنْـ ـعِ وَكَانَتْ لَـولا القَضَـاءُ قَـضَاءَ

وَرَمَاهُ الزَّمَـانُ فِي شُقَّـةِ النَّفْـ ـسِ ، فَأَصْمَـى فُـؤَادَهُ إِصْمَـاءَ

وَابْتَلاهُ بِالعُسْرِ فِي ذَاكَ وَالوَحْـ ـشَةِ حَـتَّى أَمَـلَّ مِـنْـهُ الـبَلاءَ

وَثَكِلْتُ الشَّبَـابَ بَعْدَ رَضَـاعٍ كَـانَ قَبْـلَ الغِـذَاءِ قِـدْمًا غِـذَاءَ [57]

وشكا احتراق ضيعته ، وتلف زرعه ، يقول : (الوافر)

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ عُذْرِيَ فِي قُصُورِي عَنِ البَابِ المُحَجَّبِ ذِي البَهَاءِ

حُدُوثُ حَوَادِثٍ مِنْهَـا حَـرِيقٌ تَحَيَّفَ مَـا جَمَعْتُ مِنَ الثَّرَاءِ

أُعَانِي ضَيعَةً مَـا زِلْـتُ مِنْهَا بِحَمْدِ اللهِ قِدْمًا فِـي عَنَاءِ [58]

ولَمَّا كَانَ في نحو الثلاثين جَارَ على دارٍ له تاجر يُعْرَف بابن أبي كامل ؛ فاغتصب بعض جدرها ، وأجبره على بيعها ، وفَزِعَ ابن الرُّومِيّ إلى سُلَيمَان بن عبد الله بن طاهر يطلب مساعدته ، ويَذْكُرُ تِلْكَ الدار ؛ فَلَمْ يُصْغِ إليه [59] ، وكانت له دارٌ

ثانية نازعته فيها امرأة ، ونزعتها منه عَنْوَةً ، وقَصَّ ذلك في شعره [60] ، كما قَضَى الجَرَادُ على زرعه [61] ، وفضلاً عن ذلك أُرْغِمَ على ترك مسكنه في حال مرضه : (السريع)

يَا وَيحَ مَنْ أَصْبَحَ فِي غُمَّةٍ لَيسَ لَهُ مِنْ كَرْبِهَا مَخْرَجُ
فَرُوحُهُ تُزْعَجُ عَنْ جِسْمِـهِ وَجِسْمَهُ عَنْ بَيتِهِ يُـزْعَجُ [62]

ولَعَلَّ هذه الأحداث قد شَكَّلَتْ طَبْعَهُ وأَخْلاقه ؛ فَأُصِيبَ باضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ ، وأصبح خاضعًا للوهم والخوف .

الفَشَلُ فِي العِلاقَاتِ الاجْتِمَاعِيَّة :

لم يكن ابن الرُّومِيّ محببًا إلى الناس ؛ فقد اتَّهَمَوه بالضعف الجنسيّ والتخنُّث ، وسَخِرُوا منه ؛ وذلك أنه عندما أراد أن يتزوج بنت نضر الجهبذ مَنَعَهُ أخوه من ذلك ، وقال : أما تنظر إلى مِشْيته ؟ ! إنها تشبه مِشْيَة المُخَنَّثِين ؛ فهجاه ابن الرُّومِيّ هجاءً مُرًّا [63] .

وقال يهجو بعض مَنْ زَعَمَ أنه عِنِّين : (مجزوء الخفيف)

عَاقَبَ اللهُ كُـلَّ مَـنْ قَـالَ : إِنِّـي مُخَنَّثُ
بِمَـبِيتِـي مَـعَ أُمِّـهِ لَيلَـةً لا تُـثَـلَّـثُ [64]

كما عَابُوا شِعْرَهُ ، يقول في هجاء البُحْتُرِيّ (ت284هـ) :

يَعِيبُ شِعْرِي ، وَمَا زَالَتْ بَصِيرَتُهُ عَمْيَاءَ عَنْ كُـلِّ نُورٍ سَاطِعِ اللَّهَبِ [65]

وقال في أبي حَسَّان الزيادي ومحرز الكاتب ، وبلغه عنهما أنهما عَابَا شعره : (البسيط)

عَابُوا قَرِيضِي وَمَا عَابُوا بِمَعْرِفَةٍ وَلَنْ تَرَى الشَّمْسَ أَبْصَارُ الخَفَافِيشِ[66]

وقال في أبي بكر الحُرَيْثيّ : (الرمل)

عَابَ أَشْعَارِي ، وَفِي مَنْزِلِهِ كُلُّ عَيـبٍ وَمَخَـازٍ وَرِيَـبْ
مَا لِمَنْ يُغْمَـزُ فِـي أَنْسَابِهِ وَلِعَيبِ الشِّعْرِ مِنْ أَهْلِ الأَدَبْ ؟ [67]

واتصل به أنَّ رجلاً عَرَض على عليّ بن سُلَيمَان الأَخْفَش (ت315هـ) قصيدة من شعره فطعَن عليها ؛ فقال قصيدته التي مطلعها : (المنسرح)

رِقَابُ أَهْلِ الحُلُـومِ مُـعْتَبَـدَهْ مَقْصُـودَةٌ بِالهَـوَانِ مُعْتَمَـدَهْ [68]

لقد جُبِلَ على التلقائيَّة الصريحة التي « بقيت حاكمة في سُلُوكِهِ طِيلَةَ حَيَاتِهِ ، ولم يستطع عنها حِوَلاً » [69] ، وجعلته يُقِرُّ على نفسه بكثيرٍ من العيوب ، ولَكِنَّ الناس ضَخَّموا عيوبَهُ ، وسَخِرُوا منه ، وتلقائيته هذه ، جعلت ديوانه ترجمة واضحة له ؛ « فما خَامَرَ طويته خُلُقٌ محمود أو مذموم إلا شَهِدَ به على نفسه كأنه في حَرَجٍ من أَمْرِ كتمانه »[70] .

وهو يتصف بالصراحة والتلقائيَّة ، وأبعدته هذه الصراحة عن مجالس الخلفاء والأمراء ؛ فلم يَصْلُح نديمًا للخلفاء ؛ « لأنَّ مَنْ كان مثله مطبوعًا على الاعتراف بعيوبه لا نخاله يُمْسِكُ لسانه ويحفظ سرًّا رآه ساعةَ لَهْوِهِ ؛ فإذا حَجَبَهُ الأمراءُ عن مجالس الخلوة ؛ فلأنَّه لا ينفعهم في تلك المجالس ، ولا يُؤْمَنُ عندهم على أسرارها ، وما يَقَعُ فيها من فلتات اللسان وبوادر رفع الكلفة وإرسال النفس على السَّجِيَّة ، لكنهم كانوا يحجبونه أيضًا عن المجالس العامة ، ولا يقتصرون على حجبه عن المجالس الخاصَّة » [71] .

ومن الطريف أَنْ نَذْكُرَ أَنَّ ابن الرُّومِيّ ، الذي كان مقصيًّا عن مجالس الخلفاء الخمريَّة ، ذُكِرَ بين يدي المكتفي (ت295هـ) على سبيل التندُّر بطريف شعره في القطائف واللوزينج [72] .

لقد فَتَكَ الوِسْوَاس القَهْرِيّ بأعصاب الرجل ، وأذاقته هذه الآفة مرارة الخيبة ، وحسرة الإخفاق ؛ فقد أحاط به البلاء من كل جانب ، وبسبب هذا المرض ظَلَّلَتْ حَيَاتَهُ سَحَابَةٌ قاتمة من الشك والقلق ، ولا بُدَّ أن هذا المرض بدأ في الظهور بعد أَنْ عَلا رأسُه الشيبَ ، وضِعُفَ بَصَرُهُ ، واختلَّتْ مِشْيَتُهُ ، وقَلَّ سَمْعُهُ ، وزَادَ فَقْرُهُ وعَنَاؤُهُ ، بعد أن أُغْتُصِبَتْ دَارُهُ ، وجَفَاهُ الخلفاء ، وتحاشاه الناس وعَبَثُوا به ، ورَفَضَ المغنونَ التغنِّي بشعره .

المَبْحَثُ الثَّانِي : أَعْرَاضُ اضْطِرَاب الوِسْوَاس القَهْرِيّ عِنْدَ ابْن الرُّومِي

أولاً : أَعْرَاضُ اضْطِرَاب وِسْوَاس الأَفْكَار القَهْرِيَّة عِنْدَ ابْن الرُّومِي :

كان لاضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ - لا محالة - أثرٌ كبيرٌ في شعر ابن الرُّومِيّ ، ومِن الأفكار التَّسَلُّطِيَّة التي قامت بدور بارز في هذا المرض : القلق ، والخَوف المَرَضِيّ ، والشعور بالاضطهاد ، وانعدام الثقة بالنفس ، والشكّ ، وسيطرة الوهم ، وفساد التفكير ، والتشاؤم ، والاكتئاب .

ولم يستطعْ أن يُخَلِّصَ نَفْسَهُ من هذه الأفكار ، أو يبعدها عن ذهنه ، وظَلَّتَ تُسَيطِرُ عليه بطريقة مُلِحَّة ، وتُفقده التركيز ، وتُشَتِّت انتباهه ، وتُؤَرِّقه ، وتَحْرِمُهُ من الراحة ، وتُكَدِّرُ نَومَهُ ، وتُنَغِّصُ عَيشَهُ .

القَلَق (Anxiety) :

القلق عَرَضٌ من أعراض اضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ ، وهو « مُشْتَرَكٌ في جميع الأمراض النفسيَّة والعقليَّة ، لكنه في عُصَاب القلق أظهر الأعراض وأكثرها بروزًا ؛ فهو أشد عُنْفًا وأَطْوَل بقاءً وأكثر تعطيلاً للفرد ؛ فترى المريض بهذا العُصَاب يتوقع الشرَّ من كل شيء ومن كُلِّ مصدر ، ويرى في كُلِّ حَدَثٍ نَذِيرَ سوء ... إِنْ سَافَرَ قَدَّرَ أَنَّ القطار سيصطدم أو أن الباخرة ستغرق أو أن الطائرة ستسقط ... حياته كلها خوف وحذر وتشاؤم وارتياب » [73] .

وقد بَيَّنَ فرويد أَنَّ القلق « رد فعل يقوم به الأنا أمام الخطر » [74] ، وهو الأساس الذي تنشأ منه الأعراض العُصَابيَّة ؛ لأنَّه « إشارة تُنْذِر بِتَوَقُّع حدوث خطر ، وبضرورة عمل جميع الاحتياطات ووسائل الدفاع المُمْكِنَة لتجنُّب وقوع الخطر . ويقوم الإنسان أمام الخطر الحقيقيّ ببعض المحاولات لِتَجَنُّبه ... وقد يقوم ببعض وسائل الدفاع الأخرى التي هي عبارة عن نُشُوء الأعراض العُصَابِيَّة المختلفة ؛ فليست الأَعْرَاض في الحقيقة إلا وسائل دفاعيَّة يحاول بها الأنا اتقاء خطر غريزيّ داخليّ . فالقلق - إذن - هو العامل المُسَبِّب في نُشُوء الأعراض ، وهو في الحقيقة شرط ضروري لها ، أو هو - كما يقول برج (Berg) - المادة الخام التي تصنع منها جميع الأعراض العُصَابِيَّة ؛ فالأفعال والحركات القهريَّة التي تُشَاهد في العُصَاب القَهْرِيّ ، هي عبارة عن أعراض الغَرَض منها القيام بدور الوقاية والاحتياط ضد رغبة غريزيَّة غير مرغوب فيها » [75] .

والقلق في حالة اضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ عند ابن الرُّومِيّ مصدر الخطر فيه ذاتيًّا أو مُتَوَهَّمًا ؛ فهو يشعر بخطر عظيم محدق به ، ويشعر بالعجز أمام هذا الخطر ؛ فالقلق عنده « ردّ فعل لخطر غريزيّ داخليّ ، وما قد تؤدي إليه الرغبة الغريزيَّة من أخطار خارجيَّة » [76] .

وشعوره بانعدام الأمن الداخليّ جعله في حالة من القلق تُثِيرُ اضطرابه ، وتزيد همومه ، وتجعله يشعر بالضيق وانشغال الفكر وترقُّب الشر ؛ مما أَثَّرَ في فاعليته ، وقَلَّلَ حركته ونشاطه ؛ فجعله فريسةً سهلة للمرض والحزن ؛ يُبْدِي قلقًا زائدًا تجاه مواقف الحياة اليوميَّة التي لا تُثِيرُ في العادة اهتمام الآخرين .

الخَوف المَرَضِيّ (Phobia) :

من أعراض اضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ الخَوف المَرَضِيّ ، ولا مناص من الافتراض بأنه قد وقعت لابن الرُّومِيّ في طفولته خبرات غير مُرْضِية جعلته يفزع من أقلّ الأشياء ، والخوفُ بدرجةٍ مرتفعة أمرٌ غير سَوِيّ ، يدل على اضطراب انفعاليّ شديد ، أي أنه خوفٌ مَرَضِيّ مُبْهَم ، ليس له موضوع محدد ، ولا يستثير عادة الخوف لدى عامة الناس ، ولا يستند إلى أساس واقعيّ ، ولا يمكن ضبطه أو التخلُّص منه أو السيطرة عليه ، ويَعْرِفُ المريض أنه غير منطقيّ ، وعلى الرغم من ذلك فَإِنَّ هذا الخوف يتملكه ويَحْكُمُ سلوكه .

وهو « خوفٌ غامضٌ غير مفهوم ، ولا يستطيع الشخص الذي يَشْعُرُ به أن يَعْرِفَ سببه ، ويأخذ هذا القلق يتربَّص الفرص لكي يتعلق بأية فكرة أو أي شيء خارجيّ ، أي أن هذا القلق عادةً يميل إلى الإسقاط على أشياء خارجيَّة »[77] .

ويعني العالم الخارجيّ المُخَاطَرَة ، « والمُجَازَفَة ، وإمكانية التعرُّض للبتر أو التشويه ، ومن هنا فإننا قد نُؤثِرُ الاحتماء بقوقعتنا الآمنة ، بدلاً من التعرُّض لأعاصير العالم الخارجيّ ... ولَمَّا كان الخوف من الفعل وما يترتب عليه من مخاطر ، إنما ينطوي - في صميمه - على خوف مُضْمَر من البتر بأية صورة من صوره ؛ فليس بدعًا أن يكون أكثر الناس تعلقًا بالعالم الداخليّ أولئك الذين يشعرون بالنقص ، ويحرصون على الأمن ، ويتهيبون البَتْر . وهذا التعلُّق قد يكتسب طابعًا مَرَضِيًّا ، كما هو الحال لدى المصابينَ بداء الانطواء أو مرض الحصار النفسيّ ؛ فنرى المريضَ يسعى جاهدًا في سبيل الحصول على الضمانات الكافية ، وشَتَّى ضروب الوقاية اللازمة ، ويتخذ في الوقت نفسه من أساليب الاحتياط والتحرُّز ما يُشْبِعُ حاجته المُلِحَّة إلى الشعور بالأمن والطمأنينة . وفي هذه الحالات يكون (العالم الخارجيّ) بالنسبة إلى المريض خطرًا محققًا يَتَهَدَّده كُلّ لحظة ! »[78] .

ويُعَايِش الفرد خبرة الخوف « عندما يبدأ تكوين جديد لديه في التشكُّل والظهور . أما التهديد فيرتبط بحدوث تغيُّر شامل في النَّسَق التكوينيّ ، وعلى هذا ، يرتبط كُلٌّ من القلق ، والخوف ، والتهديد ، بمواجهة صعوبات تتصل بوظائف النَّسَق التكوينيّ ، أي في طُرُق معالجة الأحداث المُتَوَقَّعَة »[79] .

وقد أقر ابن الرُّومِيّ أنه جَبَانٌ ، يتقاعس عن طلب الرزق ، ولا يقتحم أبوابه ؛ مِمَّا جَعَلَهُ أسير بيته لا يفارقه ؛ وتَرَتَّبَ على ذلك الفقر المُدْقِع ، الذي لازمه من كل جانب .

ومِمَّا يُوَضِّحُ خَوفَهُ من المجهول ، أو ما يخبئه الغيب قوله : (الطويل)

أَخَافُ عَلَى نَفْسِي ، وَأَرْجُو مَفَازَهَا وَأَسْتَارُ غَيبِ اللهِ دُونَ العَوَاقِبِ [80]

وقد رفض الدعوة التي وجهها له أحمد بن ثوابة لكي يمدحه ، ثُمَّ بَيَّنَ سبب رفضه ، وهو خوفه من بلاء البحر ، يقول : (الطويل)

وَأَمَّا بَلاءُ البَحْرِ عِنْدِي فَإِنَّهُ طَوَانِي عَلَى رَوعٍ مَعَ الرُّوحِ وَاقِبِ
وَلَو ثَابَ عَقْلِي لَمْ أَدَعْ ذِكْرَ بَعْضِهِ وَلَكِنَّهُ مِنْ هَولِهِ غَيرُ ثَائِبِ
وَلِمْ لا وَلَو أُلْقِيتُ فِيهِ وَصَخْرَةً لَوَافَيتُ مِنْهُ القَعْرَ أَوَّلَ رَاسِبِ
وَلَمْ أَتَعَلَّمْ قَطُّ مِنْ ذِي سِبَاحَةٍ سِوَى الغَوصِ وَالمَضْعُوفُ غَيرُ مُغَالِبِ
فَأَيسَرُ إِشْفَاقِي مِنَ المَاءِ إِنَّنِي أَمُرُّ بِهِ فِي الكُوزِ مَرَّ المُجَانِبِ
وَأَخْشَى الرَّدَى مِنْهُ عَلَى كُلِّ شَارِبٍ فَكَيفَ بِأَمْنِيهِ عَلَى نَفْسِ رَاكِبِ [81]

وكيف لا يخاف من البحر ، ولو أُلْقِيَ فيه مع صخرة لاستسلم للغرق استسلامًا تامًّا . ويبالغ في إظهار خوفه من الماء قائلاً : إنه إذا رآه في كوز تَجَنَّبَهُ ، وهو يَخْشَي الرَّدَى منه على كُلِّ شَارِبٍ ؛ فكيف يأمنه على نَفْس راكب ، لقد تخيَّل الأمواج وكأنها فُرْسان تريد أن تقتله ؛ وذلك بسبب سيطرة الخوف على نفسه ، يقول : (الطويل)

أَظَلُّ إِذَا هَزَّتْهُ رِيحٌ وَلأْلأَتْ لَهُ الشَّمْسُ أَمْوَاجًا طِوَالَ الغَوَارِبِ
كَأَنِّي أَرَى فِيهِنَّ فُرْسَانَ بُهْمَةٍ يُلِيحُونَ نَحْوِي بِالسُّيُوفِ القَوَاضِبِ [82]

وهو يُجَادِلُ مَنْ يقول : إِنَّ دِجْلَة بالنسبة للبحر لا تُعَدُّ شيئًا مذكورًا ، ولا عُذْرَ لِمَنْ يخاف منها فيقول : إِنَّ دجلة تخدع المسافر ؛ فهي تُظْهِرُ خِلافَ ما هي عليه ، تُظْهِر الحِلْم والسكون ، وتُخْفِي في باطنها الجهل والطيش والتهوُّر والاضطراب ، تظهرُ الطمأنينة حتى تَسْكُنَ قلوبنا ، وتَغْضَبُ إذا هبت ريح خفيفة فتضطرب اضطرابًا شديدًا ، وتُغْرِق السفن [83] .

ونرى في هذه القصيدة تخوُّف ابن الرُّومِيّ « مِنْ كُلِّ شَيءٍ : تخوُّفه من الطبيعة وقُوَاها وتقلباتها ، وتخوُّفه من الناس جميعًا سواء منهم المعادونَ المصارحونَ بالعداوة ، والأصدقاء المجاهرونَ بالصداقة المقبلونَ عليه بالنُّصْح والمشورة ، تخوُّفه من الصيف والشتاء ، مِنَ الحَرّ والبرد والمطر والصقيع والشمس ، مِنَ السفر ، ومن الإقامة في الخان ، من البر ومن البحر ، من السيل والانزلاق ، ومن الماء والموج والرياح » [84] .

وتَرَتَّبَ على هذا الاضطراب حالةٌ من الذُّعر والخوف ، ويُؤَثِّرُ هذا الخوف في أفكار الشاعر ومشاعره وأفعاله بطرق شَتَّى ، ومن شأنه خلق الصراع داخل

الشخص ، وبذلك يُهَدِّد تَوَازُن الفرد النفسيّ ، ويُسْهِمُ في حدوث الاضطرابات الانفعاليَّة والسلوكيَّة ؛ فنراه خائفًا مُتَوَجِّسًا ، يتسم بالحَذَر في المواقف الجديدة وغير المألوفة ، ويحسب كل خطوة يخطوها ، ويُدَقِّقُ في كل أمر ، ويميل إلى الأعمال التي تتميز بدرجة عالية من الأمن والأمان ؛ حيث يتّجه إلى الابتعاد تمامًا عن مصدر الخوف على الرغم من عدم وجود مبرّر كافٍ لذلك .

الشُّعُورُ بِالاضْطِهَادِ :

من الصفات التي يتميز بها مرضى اضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ الشعور بالاضطهاد ، وقد شغلت ذهنَ ابن الرُّومِيّ أفكارٌ عن اضطهاد الزمان له ؛ فسَبَّبَتْ له اكتئابًا شديدًا ؛ وجعلته يَشْعُرُ بالظلم ؛ فهو يعتقد أَنَّ الدَّهْرَ يَخُصُّهُ - وحدَهُ دون غيره - مُتَعَمِّدًا ، عن قصدٍ ، بالمصائب والبلايا ، وهذا الاعتقاد بأنه مَقْصُود بالظُّلْمِ مخصوصٌ به راسخٌ في نفسه تمامَ الرُّسُوخِ ، يقول : (الطويل)

إِلَى اللهِ أَشْكُو سُخْفَ دَهْرِي فَإِنَّـهُ يُعَابِثُنِي مُـذْ كُـنْتُ غَيرَ مُـطَـائِبِ
أَبَى أَنْ يُغِيثَ الأَرْضَ حَتَّى إِذَا ارْتَمَتْ بِـرَحْلِي أَتَاهَـا بِالغُيُـوثِ السَّـوَاكِبِ
سَقَى الأَرْضَ مِنْ أَجْلِي فَأَضْحَتْ مِزَلَّةً تَمَايَـلُ صَـاحِيهَا تَمَـايُـلَ شَـارِبِ
لِتَعْوِيقِ سَيرِي ، أَو دُحُـوضِ مَطِيَّتِي وَإِخْصَابِ مُزْوَرٍّ عَنِ المَجْـدِ نَـاكِـبِ [85]

فالدهر يُعَابِثُهُ ؛ فالغيثُ لا ينهمر إلا حينما يمتطي راحلته ، ويستعد للسير ؛ فتنهال الغيوث السواكب نِكَايَةً فيه ومعاندةً له ؛ لتجعل الأرض زلقة يتمايل فيها الإنسان كما يتمايل الشاربُ السكران ، وما ذاك إلا لتعويقه عن السير وإهلاك دابته ؛ حَتَّى لا يصل إلى غايته .

ويُؤَكِّدُ - مرة أخرى - أَنَّ الدهرَ يُعَانِدُهُ ، ويَخُصُّهُ بالبلايا ، فإنه يَمْنَعُ عنه الماء حين حاجته إلى الريّ ، ويُغْدِق عليه الماء حين يكون في غير حاجة إليه ، وهو يجتهد - دائمًا - لإصابته بصنوف العذاب ؛ فمرة يُصَبِّحُهُ بلِصٍّ يَرْكُضُ خَلْفَهُ بِفَرَسِهِ ، وطورًا يُمَسِّيه بأن يضطره إلى أن يَرِدَ الماء في المساء عند القوم الذين يسكنون ضِفَاف الأنهار لِقِلَّةِ الماء عنده [86] ؛ فهو زمانٌ (عَلَى الأَحْرَارِ عَدَّاء وَثُوب)[87] ، لا تنتهي عَجَائِبُهُ ، يقول : (المنسرح)

فَالدَّهْرُ لا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ أَو يَتَقَضَّى مِنْ أَهْلِهِ أَرَبُهْ [88]

استقرَّ الشعورُ بالاضطهاد في نفس ابن الرُّومِيّ ؛ فهو يرى أَنَّ الزمانَ يَقِفُ له بالمرصاد ويتتبع خطواته ؛ كي يَمْكُرَ به ويؤذيه ؛ فإذا رآه يريد الاتجاه يمينًا وضع العراقيل في طريقه ؛ ليمنعه من قضاء مأربه ، وإذا رآه يريد الاتجاه يسارًا ، عَاقَ سَيرَهُ بالوسائل كافة ؛ كي يجعله دائم اليأس ، كثير الحزن ، ويحول بينه وبين تحقيق مطالبه ، ولا يقف الشعور بالاضطهاد على الزمان فقط ، بل يتجاوز ذلك ؛ فهو يشعر باضطهاد ظواهر الطبيعة له ، واضطهاد الناس أيضًا .

انْعِدَام الثِّقَة بِالنَّفْسِ :

من الصفات التي يتميز بها مرضى اضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ ضعف الاعتزاز بالنفس ؛ مِمَّا يُسَبِّبُ حالة من الإحباط ، ومعروف أَنَّ المَرْءَ مَدْفُوعٌ فطريًّا لتحقيق الذَّات [89] ، والنجاح في تحقيق الذات يساعد على التوافُق النفسيّ [90] ، ويُحَقِّقُ التكيُّف الاجتماعيّ ، الذي يظهر في « قدرة الفرد على عَقْدِ صلاتٍ راضية مُرْضِيَة مع مَنْ يعاملهم مِنَ الناس ، وقُدْرَته على مُجَارَاة قوانين الجماعة ومعاييرها » [91] .

ومن المعروف أَنَّ الثِّقَةَ فِي النفس مرتكزًا قَوِيًّا لتطوير مواهب الإنسان ، ويؤدي التقدير المنخفض للذات إلى الانسحاب والهروب ، ويَكُون الفرد أقل فاعليَّة في الحياة ، ويفشل في التكيُّف مع مجتمعه ، كما يعجز عن أن يكون نافعًا فيه ، ومِنْ ثَمَّ يكون عُرْضَة للضغوط والضيق والقلق ، وكُلَّمَا كانت الشخصية متوافقة مع المجتمع ؛ بَعُدَتْ عن اضطرابات الشخصية ، والشخص المُوَسْوِس يفقد الثقة بنفسه ، ويبدو مترددًا عاجزًا عن البَتِّ في الأمور ، ويفقد القدرة على التركيز .

ويشعر ابن الرُّومِيّ بعدم الثقة في نفسه ، وعدم تقدير الآخرين لآرائه ، وانعدام القدرة على الارتباط العاطفيّ والاجتماعيّ ، وانكسار النفس ، وفقدان الأمل ، وانخفاض تقدير الذات ، ونقص الشعور بالرضا ؛ من جَرَّاء إصابته باضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ .

الشَّكُّ :

هناك حاجة نفسيَّة عند المصاب باضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ ، وهي الحاجة « إلى اللايقين في الحياة ، أو الحاجة إلى الشك ؛ فاستحداث اللايقين هو واحد من الأساليب التي يصطنعها العُصَاب ليسحب المريض من الواقع ، وليعزله عن العالم الخارجيّ . وهذا في الحقيقة نزوع مشترك بين الاضطرابات العصابيَّة النفسيَّة كافة » [92] .

وقد كشف فرويد عن المعنى الخبيء للشك العُصَابِيّ فقال : « حينما يكتشف العُصَابيّ الوِسْوَاسِيّ عدم يقين ذاكرته - نقطة الضعف في بنيتنا النفسيَّة - ... يسحب شَكَّهُ على كل شيء ؛ حتى على الأفعال التي سَبَقَ له إِنْجَازها » [93] ، « إِنَّ هَذَا الشَّكّ عينه هو الذي يُفْضِي ، في التدابير الدفاعيَّة ، إلى عدم اليقين ، وإلى التكرار المتواصل » [94] ، ويَرْجِعُ عدم اليقين من تنفيذ إجراء دفاعيّ إلى البلبلة التي أحدثتها التخييلات اللاشعوريَّة [95] .

وكان ابن الرُّومِيّ شكاكًا ، يَحْسَبُ أَنَّ أحدًا من البشر لن يصدقه إذا ألقى الصفة على وجهها بلا قيود ، ويرتبط الشك بالسؤال والاستفسار ومحاولة الكشف واستكناه الخبايا ، وقد ساء ظنه بالناس ، وانطوى على اليأس ، ينظر للآخرين بريبة وحقد ، ويتوقع منهم الضرر .

وشخصيته المُوَسْوِسَة كانت تدفعه ، أبدًا ، إلى الشكّ ، وهو « التردُّد بين النقيضينِ ، بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاكّ . وقيل الشك ما استوى طرفاه ، وهو الوقوف بين الشيئينِ ، لا يميل القلب إلى أحدهما » [96] .

والوِسْوَاس نوع من الشَّكِّ المُتَسَلِّط على المريض يجعله يُرَاجِعُ نَفْسَه في كُلِّ عَمَلٍ يَقُومُ به ، وقد ظهر ذلك في شعره ؛ فوسواسه الدائم بأنه لم يبلغ الغاية في شعره ، جعله يرجع إليه مرة أخرى فيتابع ويكرر قوله ؛ حتى يُنْهِكَ المعنى .

سَيطَرَة الوَهْم :

يسيطر الوهمُ على مَنْ أُصِيبَ باضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ ، مثل ابن الرُّومِيّ ، ويجعله مُحَاطًا بالوَسَاوس ، ويزيد هذه الصفة ثبوتًا « طبيعة مزاجه العصبيّ الذي يعتريه بكثير من الوَهْم ؛ فلا يشهد الأمور بمظهرها الحقيقيّ الموزون ، بل يندفع إلى أقصاها ، فيؤمن بوهم الواقع الذي نسجه من دون الواقع الحقيقيّ » [97] .

لقد سيطرت عليه أوهام وأفكار وخيالات لا وجود لها إلا في ذهنه ؛ فهو يعاني من التوجُّس والخوف واختلاط الأوهام بالحقائق ، إن ميزته الفنيَّة الأُوَلى هي « تحليله الدقيق المستوفِي لما يجده في نفسه من الانفعالات ، وما يعرض لعقله من الأفكار ، وما يُصَوِّره له خياله من الشكوك والمخاوف » [98] .

والوهم عند ألفرد أدلر (Alfred Adler) فكرة يعتقد بصحتها صاحبها ، وفيها التفسير النهائيّ لسلوكه [99]؛ لأنَّ مُخْتَلَّ الأعصاب يرى « الصغائر مُكَبَّرة في حسه ، والأشباح والأطياف كثيرة في وهمه ، يتخيل ويتوهم ، ثم يَفْزَعُ مِمَّا يتخيل ويتوهم ، ثم يزيده الفزع من الأخيلة والأوهام » [100] .

وإذا هجمت الأوهام قضت على المنطق السليم ؛ فهو يتخيل أوهام ، ويراها كأنها حقيقة ماثلة واقعة ، لقد أصبحت رُقْعَة التضليل من السَّعَة ؛ بحيث يختلط العالم الواقعيّ بالخياليّ .

فَسَادُ التَّفْكِيرِ :

يسيطر على المصاب باضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ التفكير غير العقليّ ، ويعتقد العَقَّاد أَنَّ ضَعْفَ شخصيَّة ابن الرُّومِيّ أسهم بدوره في نزوعه إلى الفُحْش والبَذَاءَة في القول ، بل يُعِدُّه سبب كُلّ عيوبه ، وينظر إلى هذه الآفة بوصفها « عيبه الغالب عليه الذي تبدأ منه وترجع إليه جميع عيوبه » [101] ، ويؤكد أَنَّ لِسَانَ ابن الرُّومِيّ « أطول من عقله ، ومن هذه صورته لا تؤمن عقاربه عند أول عَثْبَ ، ولا يُفَكِّرُ في عاقبته » [102] ؛ حتى انتهى به الأمر إلى أن قتله شعره الهجائي ؛ فقد تُوُفِّيَ

مسمومًا بتدبير من القاسم بن عبيد الله الوهبي وزير المعتضد - الذي تَوَجَّهَ بأكبر قدر من مدائحه إليه - بسبب هجائه له [103] .

لقد اتسمَ ابنُ الرُّومِيّ بفساد التفكير ، الذي تَحَكَّمَ فيه ؛ فَوَجَدَ نفسه مدفوعًا نحوه ، وعندما ينعدم التفكير المنطقيّ ، يستغرق المرء في التفكير الخياليّ ، وتنعدم القدرة على تَفَهُّم الآخرين ، أو تقدير الواقع بالموضوعيَّة الضروريَّة .

التَّشَاؤُم (Pessimism) :

يُؤَدِّي الوِسْوَاسُ للتطيُّر ، وتتجلى نزعة ابن الرُّومِيّ التشاؤميَّة - التي ترمق الوجود بنظرة قاتمة ، وتُحَوِّل الحياة إلى ليلٍ حالك ، ليس فيه شعاع من ضياء ، ولا بصيص من أمل - في شعره ، وعندما يَتَسَلَّط التشاؤم على الإنسان ، يرى الجمالَ قبحًا ، والفضائلَ نقائص ، والحُسْنَ نَحْسًا ، ويتوقع الشرّ والأذى في كل شيء .

وقد ضَاعَفَ العَصْرُ ما في نفسه من الطِّيَرة ؛ « فاستعصى عليه علاجها ، وسَهُلَتْ عليه مُطَاوَعتها ، والإغراق فيها » [104] .

والتشاؤم هو أَنْ يرى الإنسان أمرًا بغيضًا ، أو يسمع كلامًا غير سارّ ؛ فيفزع ، وقد يَرْجِعُ عَمَّا عَزَمَ عليه ؛ « فالمتأثر بالكآبة يرى أَنَّ كُلّ شيء يسير على عكس ما يريد ، وأن لا شيء في العالم يستحق العناية ؛ لأنَّ الأفكارَ التي تتوارد على نفسه أفكار كآبة وحزن وأسف ... وكُلّ ما يَحْدُثُ أمامه مِنْ أَسْبَابِ اللَّذَّة والسرور لا قيمة له ؛ لأنه لا يراه ولا يشعر به ولا تتوجَّه نفسه لملاحظته والعناية به » [105] .

وينشأ التشاؤمُ عن « ضَعْف النشاط وضَعْف القُوَّة العصبيَّة ، ووهن الرقابة العقليَّة (mental control) في الإنسان ؛ فيسمح لنفسه بأن تَسْبَحَ في جَوٍّ مُظْلِم من الأوهام ؛ حتى يصبح عقلُه متلبدًا بغيوم لا حقيقة لها » [106] .

وللتشاؤم أثرٌ كبيرٌ في شعر ابن الرُّومِيّ ، فقد كان سببًا في إخفاقه في المديح ؛ فصار الفقر ملازمًا له ، كما دفعه إلى هجاء الناس والإقذاع في هجائهم ، ونظرة التشاؤم أملتها حياته ، وما فيها من عجز عن تحقيق ما يطمح إليه ، وقد أكسبه تشاؤمه انقباضًا عن الناس ، والأدلة على تشاؤمه كثيرة ؛ فمن ذلك قصة الأخفش معه ، يقول صاحب (زَهْر الآداب) : « كان أبو الحسن عليّ بن سُلَيمَان الأخفش غُلام أبي العباس المُبَرِّد ، في عصر ابن الرُّومِيّ شابًّا مُتْرَفًا ، ومليحًا مستظرفًا ، وكان يَعْبَثُ به ، فيأتيه بِسَحَر ؛ فيقرع الباب ، فيقال له مَنْ ؟ فيقول : قولوا لأبي الحسن مُرَّة بن حنظلة ؛ فيتطير لقوله ، ويقيمُ الأيام لا يخرجُ من داره ، وذلك سبب هجائه إيَّاه » [107] .

وقال عليُّ بن إبراهيم كاتب مسروق البلخيّ : « كنت بداري جالسًا فإذا حجارة سقطَتْ بالقرب مني ؛ فبادرتُ هاربًا ، وأمرتُ الغلامَ بالصعود إلى السطْح ، والنظر إلى كُلِّ ناحية ؛ من أين تأتينا الحجارة ؛ فقال : امرأةٌ من دارِ ابن الرُّومِيّ

الشاعر! قد تشوَّفَتْ وقالت : اتَّقوا الله فينا ، واسقونا جَرَّةً من ماء ، وإلاّ هَلَكْنا ، فقد مات مَنْ عندنا عطشًا .

فتقدمتُ إلى امرأةٍ عندنا ذات عَقْل ومعرفة أَنْ تصعدَ إليها وتخاطبها ؛ ففعلَتْ وبادرتْ بالجرّة ، وأتْبَعَتْها شيئًا من المأكول ؛ ثم عادت إليّ فقالت : ذكرت المرأةُ أنَّ الباب عليها مُقْفَلٌ من ثلاث بسببِ طِيَرة ابن الرُّومِيّ ؛ وذلك أنه يَلْبَس ثيابَه كلَّ يوم ، ويتعوَّذُ ثم يصيرُ إلى الباب ، والمِفْتَاحُ معه ، فيضعُ عَينَهُ على ثَقْبٍ في خشب الباب ؛ فتقعُ عينُه على جارٍ له كان نازلاً بإزائه ، وكان أحْدَب يقعُدُ كل يومٍ على بابه ، فإذا نَظَرَ إليه رَجَعَ وخَلَعَ ثِيَابَهُ ، وقال : لا يفتح أحدٌ البابَ » [108].

وكان كثير الطِّيَرة « رُبَّمَا أقام المدة الطويلة لا يتصرف تطيُّرًا بسوء ما يراه ويسمعه ؛ حتى إنَّ بعضّ إخوانه من الأمراء افتقده فأُعْلِمَ بحاله في الطِّيَرَة ؛ فبَعَثَ إليه خادِمًا اسمه إقبال ليتفاءل به ؛ فلما أخذ أُهْبَتَه للركوب قال للخادم : انصرف إلى مولاك فأنت ناقص ، ومنكوس اسمك لا بَقَا » [109].

وقال عليّ بن المُسَيَّب : دخل علينا ابن الرُّومِيّ يوم مهرجان سنة ثمان وسبعين وقد أُهْدِيَ إليَّ عدةٌ من جَوَارِي القيان ، وكان فيهنَّ صبيَّةٌ حولاء ، وعجوزٌ في إحدى عينيها نكتةٌ ؛ فتطيَّرَ من ذلك ، ولم يُظْهِرْ لي أمره ، وأقام باقي يومه ؛ فلما كان بعد مُدَّة يسيرة سَقَطَتْ ابنة لي من بعض السطوح ، وجَفَاهُ القاسمُ بن عبيد الله ، فجعل سبب ذلك المعنيينِ المُغَنِّيَتَينِ [110] .

وحَدَثَ أَنْ انحدر العلاء بن صاعد يريد واسطًا ؛ فتَحَرَّكَتْ ريحُ الجَنُوبِ حَرَكَةً عَظُمَتْ معها الأمواج ؛ فانكسر سُكَّان زلاله فَرَجَع ، وعَلَّلَ ابن الرُّومِيّ ذلك بأن مقلوب كلمة (سكان) (ناكس) [111] ، ومن دلائل تطيُّره أنه حَوَّلَ اسم (إسحاق) إلى (فاحش) [112] ، ووجد في اسم الخان نذيرًا بالشرّ الذي ينتظره [113] ، وجعل بكاء الطفل ساعة مولده لما تُؤْذِنُ الدنيا به من صُرُوفِهَا [114] .

وقد عُرِفَ ابن الرُّومِيّ بتطيُّره ، ولَعَلَّهُ كان يبالغ في ذلك ليتقي الخروج من منزله ، وليتجنب المجالس التي لا يرغب في حضورها .

الاكْتِئَابُ :

يمكن أن يشتمل اضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ على أعراض اكتئاب بوصفه جزءًا من أعراض اضطراب الوِسْوَاس القَهْرِي نفسه ، وإنَّ وجود الاضطرابينِ معًا مُحْتَمَل ؛ حيث يصعب تفريق الوِسْوَاس من الاكتئاب المصحوب بالوِسْوَاس ؛ إذ إن الاكتئاب كثيرًا ما يصاحب الوَسْوَسة ؛ فنجد صفة التلازميَّة بين الاضطرابينِ [115] .

ويؤدي اضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ مع زيادة المُدَّة والشِّدَّة إلى حالة الاكتئاب ؛ لعدم مقدرة المريض على التصدِّي للمرض ، وبذلك يتكيَّف عن طريق الاكتئاب

[116] ؛ حيث يظهرُ كُلَّ شيءٍ بغير أمل ؛ فلا تكون هناك فائدة تُرْجَى مِنْ أَنْ يُرِيدَ المرءُ شيئًا ، ويبدو الشخص وكأنه في حالة جِدَاد دَائِم .

أَعْرَاضُ اضْطِرَاب وِسْوَاس الأَفْعَال القَهْرِيَّة عِنْدَ ابْن الرُّومِي :

من الأفعال القهريَّة المصاحبة لهذا المرض : التكرار ، والدِّقَّة الزائدة ، وتقلُّب المزاج ، والتردُّد وصعوبة اتخاذ القرار ، والجمود ، والانطواء ، والإسراف.

التَّكْرَار :

تقوم الدوافع اللاشعوريَّة بقهر مريض اضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ على تكرار أداء أفعال بعينها ، « من ذلك تَأَكُّد الفرد عدة مرات من أنه أغلق باب منزله ، أو أغلق صنبور الغاز ، أو عَدَّ ما معه من نقود ... وقد يتخذ هذا العَرَض شكل تكرار مُزْعِج للفعل القهريّ ، كأن يَغْسِلُ المريضُ يديه عشرات المرات خوفًا من الإصابة بالأمراض والجراثيم » [117] ، ويكرر ذلك عدة مرات حتى يُطَمْئِنَ بنفسه إلى أَنَّ كُلَّ شيءٍ على ما يرام ؛ فيهدأ إلى حين ؛ لكي تعاوده من جديد الرغبة في تكرار فعله القهري ؛ مِمَّا يُنْهِكُ الجِسمَ ، ويُتْعِبُ الأعصابَ .

وقد عَدَّ ابنُ رشيق القيروانيّ (ت456هـ) ابن الرُّومِيَّ أكثر المولدين اختراعًا وتوليدًا للمعاني [118] ، وقال عنه إنه « ضنينًا بالمعاني ، حريصًا عليها ، يأخذ المعنى الواحد ويُوَلِّده ؛ فلا يزال يقلبه ظهرًا لبطن ، ويَصْرِفُهُ فِي كُلِّ وَجْه ، وإلى كُلِّ ناحية ؛ حتى يُمِيتَهُ ، ويعلم أنه لا مَطْمَعَ فيه لأحد » [119] ، وأَقَرَّ بأنه أحقّ الناس باسم شاعر ؛ « لكثرة اختراعه ، وحُسْن افتنانه » [120] .

والمُخْتَرَع من الشعر هو « ما لم يُسْبَق إليه قائلُه ، ولا عمل أحدٌ من الشعراء قبله نظيره أو ما يَقْرُبُ منه » [121] .

أَمَّا تَدَاعِي الفِكْر وتَسَاوُق المَعَانِي فهو سِمَة من السِّمَات العقليَّة لا تتوافر إلا عند قِلَّة قليلة من الشعراء ؛ حتى عُدَّ ذلك علامة مُمَيِّزَة للشاعر ؛ إذ كان ابن الرُّومِيّ من خلال هذا الباعث « يُؤَلِّفُ بها بين أقصى الخواطر وأقصاها بحرفٍ يُصَحِّفه ، أو معنى يعكسه ، أو مناسبة تهيؤها له قريحته المُتَوَثِّبَة الحَافِلَة » [122] .

ومن أمثلة تكرار بيت الشعر بلفظه ومعناه عند ابن الرُّومِي قوله في هجاء أبي غانم خالد القحطبيّ : (الكامل)

عَرَّضْتَ لِلشُّعَرَاءِ عَرْضَكَ عَامِدًا كَيمَا يُقَالَ : تَكَذُّبُ الشُّعَرَاءِ [123]

فقد ورد البيت الرابع من القصيدة (32) ، والبيت الرابع من القصيدة (33) ، كما تكرر الشطر الثاني من البيت فقط في قوله : (الخفيف)

لَو هَجَا الأَنْبِيَاءُ كَلْبًا لَقَالَ النـ ـناسُ : هَذَا تَكَذُّبُ الشُّعَرَاءِ [124]

ودفعه الوِسْوَاس القَهْرِيّ إلى هذا التكرار ؛ فهو يُكَرِّرُ معانيه بالوزن نفسه ، ولا اختلاف إلا في حرف الرويّ ؛ لأنه يرى أنه قَصَّرَ في أداء المعنى ؛ فيرجع إليه مرة أخرى بقافية مختلفة ، ومن ذلك قوله : (الطويل)

لِمَا تُؤْذِنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ صُرُوفِهَا يَكُونُ بُكَاءَ الطِّفْلِ سَاعَةَ يُولَدُ
وَإِلاَّ فَمَا يُبْكِيهِ مِنْهَا وَإِنَّهَا لأَفْسَحُ مِمَّا كَانَ فِيهِ وَأَرْغَدُ
إِذَا أَبْصَرَ الدُّنْيَا اسْتَهَلَّ كَأَنَّهُ بِمَا سَوفَ يَلْقَى مِنْ أَذَاهَا يُهَدَّدُ (125)

ويقول في قصيدة أخرى على الوزن نفسه ، ولا اختلاف إلا في الرويّ : (الطويل)

لِمَا تُؤْذِنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ شُرُورِهَا يَكُونُ بُكَاءُ الطِّفْلِ سَاعَةَ يُوضَعُ
وَإِلاَّ فَمَا يُبْكِيهِ مِنْهَا وَإِنَّهَا لأَفْسَحُ مِمَّا كَانَ فِيهِ وَأَوسَعُ
إِذَا أَبْصَرَ الدُّنْيَا اسْتَهَلَّ كَأَنَّهُ يَرَى مَا سَيَلْقَى مِنْ أَذَاهَا وَيَسْمَعُ (126)

وقال في رثاء ولده الأوسط مُحَمَّد : (الطويل)

بُنَيَّ الذِي أَهْدَتْهُ كَفَّايَ لِلثَّرَى فَيَا غِرَّةَ المُهْدَى ، وَيَا حَسْرَةَ المُهْدِي
أَعَينَيَّ : جُودَا لِي فَقَدْ جُدْتُ لِلثَّرَى بِأَنْفَسَ مِمَّا تُسْأَلانِ مِنَ الرِّفْدِ(127)

وقال في رثاء ولده البكر : (الطويل)

أَعَينَيَّ جُودَا لِي فَقَدْ جُدْتِ لِلثَّرَى بِأَكْثَرَ مِمَّا تَمْنَعَانِ وَأَطْيَبَا
بُنَيَّ الذِي أَهْدَيتُهُ أَمْسَ لِلثَّرَى فَلِلَّهِ مَا أَقْوَى قَنَاتِي وَأَصْلَبَا (128)

وينصح في إحدى قصائده بمجانبة الإكثار من الصحاب : (الوافر)

عَدُوَّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ فَلا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الصِّحَابِ
فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ يَحُولُ مِنَ الطَّعَامِ أَوِ الشَّرَابِ (129)

ويكرر المعنى نفسه في قصيدة أخرى بروي مختلف ، يقول : (الوافر)

عَدُوَّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَحِيلٌ فَلا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الصَّدِيقِ
كَذَاكَ الدَّاءُ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ مِنَ الأَشْيَاءِ تَحْلُو فِي الحُلُوقِ (130)

وقال يرثي أهل البصرة : (الخفيف)

مَا تَذَكَّرْتُ مَا أَتَى الزَّنْجُ إِلاَّ أُضْرِمَ القَلْبُ أَيَّمَا إِضْرَامِ
مَا تَذَكَّرْتُ مَا أَتَى الزَّنْجُ إِلاَّ أَوجَعَتْنِي مَرَارَةُ الإِرْغَامِ (131)

وكان إذا أعجبه المعنى كَرَّرَهُ مراتٍ عديدة في قصائد مختلفة ، ومن ذلك - على سبيل المثال - قوله في هجاء الدهر ، الذي لا يُنْصِفُ في توزيع الحقوق بين الناس : (الكامل)

دَهْرٌ عَلا قَدْرُ الوَضِيعِ بِهِ وَهَوَى الشَّرِيفُ يَحُطُّهُ شَرَفُهْ
كَالبَحْرِ يَرْسُبُ فِيهِ لُؤْلُؤُهُ سُفْلاً ، وَتَطْفُو فَوقَهُ جِيَفُهْ (132)

وقوله : (السريع)

دُنْيَا عَلا شَأْنُ الوَضِيعِ بِهَا وَهَوَى الشَّرِيفُ يَحُطُّهُ شَرَفُهْ
كَالبَحْرِ يَرْسُبُ فِيهِ لُؤْلُؤُهُ سُفْلاً ، وَتَطْفُو فَوقَهُ جِيَفُهْ [133]

يؤكد أن الدهر يعلو فيه قَدْر الوضيع ، ويَهْوِي فيه قدر الشريف , مثل البحر الذي يرسب فيه اللؤلؤ ، ويطفو فوقه الجِيَف ، ويُكَرِّرُ هذا المعنى مرة أخرى في قوله : (الوافر)

رَأَيتُ الدَّهْرَ يَرْفَعُ كُلَّ وَغْدٍ وَيُخْفِضُ كُلَّ ذِي شِيَمٍ شَرِيفَهْ
كَمِثْلِ البَحْرِ يَغْرَقُ فِيهِ حَيٌ وَلا يَنْفَكُّ تَطْفُو فِيهِ جِيفَهْ
أَوِ المِيزَانِ يُخْفِضُ كُلَّ وَافٍ وَيَرْفَعُ كُلَّ ذِي زِنَةٍ خَفِيفَهْ [134]

إنه يُكَرِّرُ معانيه دائمًا ، وأعتقد أن ذلك يرجع إلى سببين : الأول : الوسواس القهريّ الذي سَيطَر عليه ؛ فجعله يَظُنُّ دائمًا أنه قَصَّرَ في أداء المعنى ؛ فيرجع إليه ويكرره ؛ لأنَّ « طبيعة المُوَسْوِس لا تنفر من التكرار ، كما تنفر منه سائر الطِّبَاع » [135] . والسبب الآخر : مرض السكر الذي أصابه بضعف الذاكرة [136] ؛ فينسى بعض المعاني التي قالها فيعود ليقولها مرة أخرى ؛ مِمَّا أَدَّى إلى كِبَر حجم ديوانه ، وطول قصائده .

الدِّقَّةَ الزَّائِدَة :

من الأفعال القَهْرِيَّة المصاحبة لاضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ الدِّقَّة الزائدة ، وقد عُرِفَ ابن الرُّومِيّ بالدقة الزائدة والاهْتِمَام بِالتَّفَاصِيل ، وظَهَر ذلك في تَعَمُّده اختيار القوافي الصعبة ، ولزومه ما لا يلزم في القافية ، وقال عنه المَرْزُبَاني (ت384هـ) في كتابه (مُعْجَم الشُّعَراء) : ويركب من القوافي « ما هو صعب متناوله على غيره ، ويُلْزِمُ نفسه ما لا يلزمه » [137] . وقد بلغ به هذا الالتزام إلى حَدِّ أنه لم يكن « يعاقب بين الواو والياء في أكثر شعره قدرةً على الشعر واتساعًا فيه » [138] ، من ذلك التزامه الواو في قصيدته اللامية التي مطلعها : (مُخَلَّع البسيط)

يَا سَيِّدًا لَمْ تَزَلْ فُرُوعٌ مِنْ رَأيِهِ تَحْتَهَا أُصُولُ [139]

وقد التزم « في القوافي إعادة ما لا يلزم إعادته طلبًا للزيادة في التناسُب ، والإغراق في التماثُل » [140] ، كما يقول في قصيدته التي مطلعها : (السريع)

صَبْرًا عَلَى أَشْيَاءَ كُلِّفْتُهَا أُعْقِبْتُهَا الآنَ وَسُلِّفْتُهَا [141]

فقد التزم حرف (التاء) وحركته (الضم) قبل حرف الروي (الهاء) ، وظَلَّ مُلْتَزِمًا هذه القافية في تسعة وسبعين بيتًا .

والتزم حرف (اللام) وحركته (الفتح) قبل حرف الروي (الهاء) في مقطوعة أخرى ، يقول : (البسيط)

للهِ خَالِدٌ الطَّائِيُّ مِنْ رَجُلٍ كَمْ شُبْهَةٍ مِنْ عَوِيصِ الفِقْهِ جَلاَّهَا ؟ [142]

وذلك غيرُ لازمٍ ، ولكنه لجأ إليه كي يُشْبِعَ حاجته من النظام والاهتمام بالتفاصيل والدِّقَّة المتناهية ، من أثر اضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ .

تَقَلُّبُ المِزَاجِ :

من الأفعال القهريَّة المصاحبة لاضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ تَقَلُّب المِزَاج من حالة إلى عكسها ، وقد تَجَلَّى ذلك عند ابن الرُّومِيّ ، وأَبْرَز قدرته على الجدل والحِجَاج ؛ فهو يقف عند المعنى الواحد المألوف ، فيُفَصِّلُ القول فيه مادحًا ، ثُمَّ يُفَصِّلُ القولَ فيه ذامًّا ، دون أن يخلَّ بالمعنى في كِلْتَا الحالتينِ ، ولم يقتصر هذا الصنيع على ابن الرُّومِيّ وَحْدَه ، فقد سبقه إليه المعتزلة والمتكلمون ولا سيما الجَاحِظ (ت255هـ) في كتابه (المَحَاسِن والأَضْداد) .

ولُكِلِّ شيءٌ وجهانِ ، وجهٌ حَسَن ووَجْهٌ قبيح ؛ فإذا رَضِيَ الإنسان نَظَرَ إلى الوجه الحَسَن ، وإذا سَخِطَ نَظَرَ إلى الوَجْه القَبِيح ، يقول ابن الرُّومِيّ : (البسيط)

فِي زُخْرُفِ القَولِ تَرْجِيحٌ لِقَائِلِهِ وَالحَقُّ قَدْ يَعْتَرِيهِ بَعْضُ تَغْيِيرِ
تَقُولُ : هَذَا مُجَاجُ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ وَإِنْ تَعِبْ قُلْتَ : ذَا قَيءُ الزَّنَابِيرِ
مَدْحًا وَذَمًّا ، وَمَا جَاوَزْتَ وَصْفَهُمَا سِحْرُ البَيَانِ يُرِي الظَّلْمَاءَ كَالنُّورِ [143]

ولم يترك أحدًا من ممدوحيه إلا انقلب عليه وهجاه ، وكأنَّ مديحَهُ تنبيهٌ للسامع حتى يلتفت إليه ويسمع ما سيقوله من هجاء ، وقال عنه المَرْزُبَانِيّ في (مُعْجَم الشعراء) : « ولا أعلم أنه مدح أحدًا من رئيس ومرءوس إلا وعاد عليه فهجاه مِمَّنْ أَحْسَنَ إليه أم قَصَّرَ في ثوابه » [144] .

وقال يَذُمُّ الذين مدحهم : (المتقارب)

مَدِيحُكَ مَنْ تَبْتَغِي رِفدَهُ هِجَاءٌ ، وَإِنْ كُنْتَ لا تُظْهِرُهْ
لأَنَّكَ طَالَبْتَ مَا عِنْدَهُ كَأَنَّكَ تَرْقِيهِ أَو تَسْحِرُهْ [145]

وقد مدح الحِقْد [146] ، ثم انقلب عليه وذمه [147] ، ونَهَى عن كثرة الأكل ؛ لأنه مضرة للمعدة والصِحَّة [148] ، وكان يأكل إلى حَدِّ التخمة [149] ، كما مَدَحَ والده [150] ، ثم انقلب عليه هاجيًا [151] .

وما ذاك إلا لأنه لا يستطيع أنْ يَقِفَ على رأيٍ واحد ويَثْبُتَ عليه ، بل دائمًا ما يقول رأيًا ثُمَّ يُغَيِّرُهُ ، وذلك من أثر اختلال الأعصاب الناشئ عن اضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ .

التَّرَدُّد وَصُعُوبَة اتِّخَاذِ القَرَارِ :

من الأفعال القهريَّة المُصَاحِبَة لاضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ التَّرَدُّد وصعوبة اتخاذ القرار ، وقد أَقَرَّ ابن الرُّومِيّ في شعره أنه يَجِدُ صُعُوبَةً كَبِيرة في اتِّخَاذِ قَرَارٍ بِشَأْنِ أمرٍ من الأمور ، يقول : (الطويل)

حَرِيصًا ، جَبَانًا ، أَشْتَهِي ثُمَّ أَنْتَهِي بِلَحْظِي جَنَابَ الرِّزْقِ لَحْظَ المُرَاقِبِ

وَمَنْ رَاحَ ذَا حِـرْصٍ وَجُبْـنٍ فَـإِنَّهُ فَقِيـرٌ أَتَـاهُ الفَقْرُ مِـنْ كُـلِّ جَانِبِ
وَلَمَّـا دَعَـانِي لِلمَـثُـوبَـةِ سَـيِّـدٌ يَـرَى المَدْحَ عَارًا قَبْلَ بَذْلِ المَثَاوِبِ
تَنَازَعَنِي رُغَـبٌ وَرُهَـبٌ كِـلاهُمَا قَـوِيٌّ ، وَأَعْيَـانِي اطِّلاعُ المَغَـايِبِ
فَقَدَّمْتُ رِجْـلاً رَغْـبَةً فِـي رَغِيـبَةٍ وَأَخَّرْتُ رِجْـلاً رَهْبَـةً لِلمَـعَاطِـب
أَخَافُ عَلَى نَفْسِي ، وَأَرْجُـو مَفَـازَهَا وَأَسْتَـارُ غَيـبِ اللهِ دُونَ العَـوَاقِبِ
أَلا مَنْ يُرِينِي غَـايَتِي قَبْلَ مَذْهَـبِي ؟ وَمِنْ أَينَ ، وَالغَايَاتُ بَعْدَ المَـذَاهِبِ ؟ (152)

إنه حريصٌ على حياته ، يَخْشَى المغامرة والاقتحام ، ولَعَلَّ في ذلك ما يَتَّفِقُ وقول العَقَّاد : « الطِّيَرَة شُعْبَة من مَرَضِ الخوف الناشئ من ضعف الأعصاب واختلالها » (153) ، ويعترف الشاعرُ بِأَنَّ مَنْ يتصف بالحرص والجبن معًا مثله ، لا بُدَّ أن يلازمه الفقر ؛ فإنه عندما دعاه أحمد بن ثوابة ليمدحه ، ثَارَتْ - فِي نَفْسِهِ - عَاطِفَتَانِ مُتَنَازِعَتَانِ مُخْتَلِفَتَانِ ، وقام الصراعُ بينهما : إحداهما ، تُرَغِّبُهُ في الذهاب وتَحُثُّهُ عليه ؛ ففيه أبواب الخير ، والأُخْرَى ، تَبُثُّ في نفسه الفزع الشديد ؛ فهو مُعَرَّضٌ للأذى حيثما ذهب ، وكأننا نراه يتقدم خطوة ، ثم يتراجع ، يُقَدِّمُ رجلاً ، ويُؤَخِّرُ أخرى ، ويَقِفُ مُتَرَدِّدًا ، ويُعْمِلُ ذِهْنَهُ مراتٍ ومرات ، عَلَّهُ يَصِلُ إلى قَرَارٍ تَسْتَقِرُّ عِنْدَهُ نَفْسُهُ ، ولكن هيهات ! أَنَّى له ذلك ، وقد سيطر عليه الوِسْوَاس ؛ فعَجَزَ عن اتخاذ القرار ، وصار يفعل الشيء ثم يعيده ، ويكرره مراتٍ ومرات ، وهو ذاهلٌ عن نفسه ، يسيطر الشك عليه ، ويستبد به الوهم ، ويُخَيِّلُ إليه أنه لم يَقُمْ بهذا الأمر ؛ فيظل يعيش في عذابٍ مقيم ، ويحاول الخروج من هذا المأزِق بأن يستطلع الغيب ، ولكننا لا نعرف عاقبة الأمر إلا بعد تجربته .

إنه حريصٌ يحب المال ، مُقْبِلٌ على مُتَع وملذات الحياة بشراهة ، وفي الوقت عينه جبانٌ ، يُصَابُ بالذعر لأدنى ملابسة ، وهو يشتهي النَّهْل بِبَذَخٍ من طيبات الحياة ، ولكنه يكتفي بالنظر باشتهاء للرزق من مكانٍ بعيد .

الجُمُودُ :

من الأفعال القهريَّة المُصَاحِبَة لاضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ الجُمُود ، ويُقْصَد به الصعوبة التي يُغَيِّرُ بها الفرد موقفًا ما أو وِجْهَة نظر معينة عند حَلّ مشكلة بعينها ومواجهتها ؛ حيثُ يَعْجَزُ عن التخلُّص من السياق العاديّ للتفكير ، ويَتَّبِعُ نمطًا واحدًا لا يتغير ، ويُعَانِي من البطء في إنتاج عددٍ من الأفكار المرتبطة بموقفٍ ما .

ويَتَّبِعُ ابن الرومي أساليب نَمَطِيَّة ذات طرازٍ واحد في حَلّ المشكلات ، ولديه جُمُود أو تصلُّب عقليّ في المُمَارَسَات الذهنيَّة ، ويتشبثّ برأيه دائمًا ، ونَجَمَ على ذلك أن صار لأدائه وجهٌ مُتَصَلِّب ، ووصل به الأمر إلى الشعور بالتوتُّر والاضطراب النفسيّ ، وعدم القدرة على التوافُق .

وفي الواقع يُعَدُّ التصلُّب الخَصْلَة الحَاسِمَة للأداء الدفاعيّ للشخصيَّة ؛ فالقلق المُبَالَغ فيه يُعَرْقِل الأداء المَرِن [154] .

الانْطِوَاءُ :

من الأفعال القهريَّة المُصَاحِبَة لاضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ الانطواء ، وقد كان انطواء ابن الرُّومِيّ وانعزاله عن الناس يُعِينُهُ على التأمُّل ، ويُسْعِفُهُ بما شَاءَ من التَّخَيُّلات الشعريَّة [155] ، ومنشأ هذه القدرة « انكماشُهُ الشديد في نفسه ، وهذا قد يبدو للقارئ تناقضًا تامًّا : كيف أنَّ شخصًا يَنْكَمِشُ في نَفْسِهِ هُوَ فيستطيع بذلك أَنْ يُجِيدَ تحليل الغير والتَّعَمُّق في نفسياتهم ، ولكن هذا التناقُض لا يزيد على أن يكون مُفَارَقَة سَطْحِيَّة » [156] .

وكان ابن الرُّومِيّ « سَاهِمَ النظرة باديًا عليه وجومٌ وحيرة » [157] ، وقد لاحَظَتْ عليه بنتٌ صغيرة لعبيد الله بن عبد الله أنه كان كثير السكون والتفكير : (الكامل)

وَشَقِيقَـةٍ قَـالَـتْ أَرَاهُ مُفَكِّرًا حَتَّى أَرَاهُ مِـنَ السَّكِينَةِ نَائِمَـا
فَأَجَبْتُهَـا إِنِّي امْـرُؤٌ هَيَّامَـةٌ فِي كُـلِّ وَادٍ مَا أُفِيقُ هَمَاهِمَـا
أُمْسِي وَأُصْبِحُ لِلشَّوَارِدِ طَالِبًـا بِهَوَاجِسٍ حَولَ الأَوَابِدِ حَائِمَـا [158]

وهي ملاحظة « صادقة بسيطة كأكثر ملاحظات الأطفال - ولا سِيَّمَا البنات – على الرجال الذين يرونهم عند آبائهم ؛ فيتفرسون فيهم ، ويُطِيلُونَ النظر إليهم » [159] .

ثُمَّ إِنَّ أُنَاسًا كانوا يعيبون عليه انقباضه كما يُؤْخَذُ من قوله في هجاء بعضهم : (يعيب انقباضي معجبًا بانبساطه) ، وكما قال عليّ بن إبراهيم كاتب مسروق البلخيّ : « كان إذا فاجأه الناظر رأى منه منظرًا يَدُلُّ على تغيُّر حالٍ » [160] . ولو لم يكن هذا واضحًا في شعره وأخباره لتوسمناه من صحته وخيبة أمله وكثرة شكواه [161] .

وتنتمي شخصية ابن الرُّومِيّ إلى النموذج المنطويّ (introvert) – إذا أخذنا بتقسيم العالم السويسريّ كارل يونج (C.Junj) للشخصية إلى نموذج منبسط وآخر منطوي - والسمات التي يمتاز بها النموذج المنطويّ هي : أولاً : غلبة العوامل الذاتيَّة على العوامل الموضوعيَّة في توجيه سُلُوك الفرد . ثانيًا : خُضُوع السُّلُوك لمجموعة من المبادئ المُطْلَقة والقوانين الصارمة ، دون مراعاة لِمَا قد تقتضيه الظروف من مُرُونة في التصرُّف . ثالثًا : افتقار الشخص إلى القُدْرَة على التكيُّف السريع ، وتحقيق التوافُق بينه وبين البيئة الاجتماعيَّة . رابعًا : إسراف الفرد في ملاحظة حالته الصحيَّة ومعالجة أمراضه . خامسًا : تحقيق الشخص لعملية التوافُق عن طريق (النُّكُوص) ، واللجوء إلى عالم الخيال والوهم . سادسًا : استهداف الفرد لنوع خاص من الأمراض النفسيَّة ، ألا وهو الوِسْوَاس [162] . ومعظم هذه السمات واضحة عند ابن الرُّومِيّ ،

وقد لَمَسْنَا عجزه عن التكيُّف ، وعدم مرونته في التصرُّف ، وتأثُّره الشديد بالعوامل الذاتيَّة ، وميله إلى الارتداد عن عالم الواقع من أجل الاستغراق في الأحلام والأوهام .

إنه يجد صعوبة كبيرة في تحقيق التوافق الوجدانيّ بينه وبين المواقف الخارجيَّة ؛ لذا عاش في عالمه الذاتيّ الخاص ، وتَجَنَّبَ الاتصال الاجتماعيّ ، ورَغِبَ في الانعزال والوحدة ، ومال إلى التأمُّل ، والفرد الذي لا يتقبل نفسه ولا يشعر بالرضا ، يكون مُعَرَّضًا للمواقف الإحباطيَّة ، ويَشْعُر خِلالَهَا بِالفَشَل وعَدَم التَّوَافُق النَّفْسِيّ والاجتماعيّ ، وقد يدفعه ذلك إلى الانطواء ؛ لأنه يشعر بالتباعد عن الآخرين ، وعدم فهمهم له ، مع عدم قدرته على الدخول في علاقات مُشْبِعَة مع الآخرين .

الإِسْرَافُ :

من ظواهر إسراف ابن الرُّومِيّ : الإِلْحَاح فِي طَلَب العَطَاءِ ، والنَّهَم الشديد للطعام ، والإفراط في المُتَع الحِسّيَّة ، والإقبال على المال ، والإقذاع في الهجاء ، ومَسْخ المهجوين ، وإطالة للقصائد ، واستقصاء المعاني .

الإِلْحَاح فِي طَلَب العَطَاءِ :

من ظواهر إسراف ابن الرُّومِيّ الإِلْحَاح فِي طَلَب العَطَاءِ ، وقد أخفق في المدح ، على الرغم من كثرة مدائحه ، وجعله هذا الإخفاق يستجدي ممدوحيه ؛ فهو يشكو ويتوجَّع من بؤسه ويأسه ، ويسألهم شيئًا يستعين به على شقاء الحياة ، ويَعْرِضُ همومه ومشكلاته - بكل تفاصيلها - من خلال شعر المدح ، الذي لم يُحَقِّق رواجًا لدى الممدوحين ، الذين ينتظرون أن يسمعوا من الشاعر تخليدًا لمآثرهم ، وإجلالاً لهم ؛ فلا يجدوا سوى عتاب ، وشكوى ، وذم للزمان ، وتحسُّر على ما فات ، وبكاء على عجزه وضعفه ، وسخرية مِمَّن فاقه في المكانة ، وفي كل قصائده شواهد على ذلك .

وعلى هذا النحو كان شعره تعبيرًا عن نفسه ومشاعره الذاتيَّة ، أكثر من كونه وصفًا للممدوح ؛ فهو يُطْنِبُ في وصف بُؤسِهِ ، ولم يكن من اللَّبَاقة بحيث يستطيع أن يوازن بين نفسه والممدوح ، وكان ذلك من أسباب إخفاقه في المدح ، وانصراف الممدوحينَ عنه ؛ لأنه كان يُغْضِبُهم ، ويزيدهم حَنَقًا عليه بهذه القصائد ، التي يتطرق فيها كثيرًا إلى العِتَاب ؛ فيَمَلّ الممدوح شعره ، ويمتنع عن إعطائه .

وقد كان يتذلَّل ويتوسَّل للممدوحين بغية نوالهم ، ويُلِحُّ ويُكَرِّرُ طلبه ، ويستفيض في وصف سوء حاله ، وشكوى زمانه ، يقول في عتاب ابن ثوابة : (الكامل)

حَتَّى مَتَى يُورِي سِوَايَ وَأَقْتَدِحْ ... حَتَّى مَتَى يُعْطَى سِوَايَ وَأَمْتَدِحْ ؟
حَتَّامَ لا شِعْرِي أَمَامَ المُجْتَنَى ... فَأَحَظَّ مِنْهُ ، وَلا وَرَاءَ المُطَّرِحْ ؟
وَمِنَ العَجَائِبِ أَنَّ رِزْقِي مُغْلَقٌ ... وَنَدَاكَ مِفْتَاحٌ وَلَمَّا أَفْتَتِحْ
يَا مَعْشَرَ الإِخْوَانِ طَالَ عُقُوقُكُمْ ... بِأَخٍ لَكُمْ غُبِقَ الجَفَاءَ كَمَا صُبِحْ
أَعْرَيْتُمُونِي مِنْ جَدَاكُمْ كُلِّهِ ... وَعَرَيْتُمُ مِنْ كُلِّ عُذْرٍ مُتَّضِحْ

لا تَأْثَمَا فِي مَنْحِ شِعْرِي مَهْرَهُ يَا صَالِحَانِ ؛ فَإِنَّـهُ فَـرْجٌ نُـكِحْ [163]

والبيت الأخير يؤكد أنه يتعامل مع الشَّهَوَات وسائر المُتَع بحواسه كلها ؛ لذا جعل مقابل شعره مساويًا لمهر البِكْر التي تُنْكَح .

ويقول في عتاب القَاسم بن عُبَيد الله : (البسيط)

الحَمْدُ لِلَّهِ حَتَّى يَنْفَدَ العَدَدُ يُشْتَاقُ غَيرِي وَلا يَشْتَاقُنِي أَحَدُ [164]

ويعاتبه في قصيدة أخرى قائلاً : (البسيط)

أَصْبَحْتُ فِي مَأْتَمٍ مِنْ سُوءِ رَأْيِكُمُ وَالنَّاسُ فِي عُرُسٍ مِنْكُمْ وَفِي عِيدِ [165]

وكان يرى غيره من ذَوِي الجَهْلِ ينامون على الحرير ، وهو يفترش التُّرَاب ؛ فيصرخ صرخةَ مَكْلُومٍ ، يقول في عتاب القاسم بن عبيد الله : (الخفيف)

فَعَـلامَ انْصِرَافُ وَجْـهِكَ عَنِّي وَتَنَـاسِيـكَ حَـاجَـتِي إِلْغَـاءَ ؟

قَـدْ تَجَـرَّعْـتُ مِنْ جَفَائِـكَ لَمَّا سُمْتَـنِي ذَاكَ شَـرْبَـةً كَـدْرَاءَ

لَسْتُ بِاللُّقْطَةِ الخَسِيسَـةِ فَاعْرِفْ لِيَ قَـدْرِي ، وَاسْـأَلْ بِهِ الفُهَمَاءَ

إِنَّ بَخْسَ الثَّوَابَ - إِنْ دَامَ ظُلْمًا- قَـلَـبَ المَـدْحَ ذَاتَ يَومٍ هِجَـاءَ [166]

ويتوقع الشرّ منه فيقول له : إنَّ تَذَلُّلِي لك لا يزيدني إلا ذُلاًّ وهوانًا ، ولا يَجْلُبُ لي عِزًّا ، وكذلك قُرْبِي منك لا يزيدني إلا بُعْدًا ، ولا يَجْلُبُ لي خيرًا ، يقول : (الخفيف)

وَأَرَى ذِلَّتِي تُـرِيـكَ هَـوَانِي وَدُنُـوِّي يَـزِيـدُنِـي إِقْـصَـاءَ [167]

ويقول في عتاب عُبَيد الله بن عبد الله : (الوافر)

أَظَلَّ سَحَابُ عُرْفِكَ كُلَّ شَـيءٍ وَدُرَّ عَـلَى البِلادِ بِلا عِصَابِ

سِـوَايَ فَإِنَّـنِي عَـنْهُ بِظَهْـرٍ كَأَنِّي خَـلْـفٌ مُنْقَطِعُ التُّرَابِ

يَجُـودُ بِسَـيبِهِ أَبَـدًا لِغَـيرِي وَيَخْلُبُنِي بِبَرْقٍ غَيـرُ خَابِـي [168]

ويقول في عتاب آل وهب : (الكامل)

فَازَ الوَرَى مِنْ رِيحِكُمْ بِسَحَائِبٍ هَطَلَتْ ، وَفُزْتُ بِسَافِيَاتِ تُرَابِ [169]

ويقول لسعيد بن حميد : (الوافر)

أَتَرْضَى أَنْ حُرِمْتُ وَفَازَ غَيْرِي بِـآمَـالٍ لَـهَا طَـلْعٌ نَضِيدُ ؟ [170]

ويعاتب آل طاهر : (المتقارب)

أَرَى الشُّعَرَاءَ حَظَوا عِنْدَكُمْ جَمِيعًـا عَيِّيَهُـمُ وَاللَّسِـنْ

سِوَايَ فَإِنِّي أَرَانِـي امْـرَأً هُزِلْتُ وَكُلُّهُمُ قَـدْ سَمِـنْ

إِلَى اللهِ شَكْوَايَ مِـنْ غَبْنِكُمْ وَلَسْتُ بِـأَوَّلِ حُـرٍّ غُبِنْ [171]

ويقول في هجاء إسماعيل بن بلبل ؛ لأنه مَنَعَ عنه العطاء ، ومَنَحَ غيره بسخاء : (المتقارب)

أَبَا الصَّقْرِ : لَسْتُ أَرَى مُهْدِيًا لَكَ المَـدْحَ غَيرِي إِلاَّ مُـثَابَـا

وَإِنْ كُنْتُ حَـلأْتَنِي صَادِيًـا وَأَورَدْتَ غَيرِي حِيَاضًا عِذَابَـا
فَمَا لِعَطَايَاكَ أَضْحَتْ حِمًـى عَلَيَّ ، وَأَضْحَتْ لِغَيـرِي نِهَـابَـا
قَبِلْتَ مَـدِيـحِي وَأَنْشَـدْتَـهُ أُنَاسًا ، وَأَمْسَكْـتَ عَـنِّي الثَّوَابَـا
فَحَتَّامَ تَخْطَـفُ تِلْـكَ البُـرُو قُ طَرْفِي ، وَيَسْقِينَ غَيرِي الذِّهَابَا ؟ (172)

فالشاعر يستغرب أشدَّ الاستغراب ويسأل مُتَعَجِّبًا دون جواب : إلى كم ينتظر على أبواب مُمَاطِلِه دُونَ سَمَاحٍ وعطاء ؟

ويقول في عتاب أبي سهل بن نُوبُخْت : (الخفيف)

أَمِـنَ العَـدْلِ أَنْ تَـعُدَّ كَـثِيـرًا لِـيَ مَـا تَسْتَـقِلُّ لِلأَوقَـابِ ؟ (173)

نلاحظ أنه يعتمد بكثرة على المقارنة بين حاله وحال غيره ، وهذا من أثر وسواسه ؛ فهو في مأتمٍ ، والناس في عيد ، والعطاء لغيره ، وله البرق الخُلَّب ، ويفوز الآخرون بالسحائب المنهمرة ، ونصيبه سافيات تراب ، ويُحْرَم ، ويفوز غيره بالآمال ، وينال عطاءً قليلاً ، ويفوز غيره بالنِّعَم الجِسَام .

لقد تيقن من اضطهاد الممدوحينَ له ، وإهمالهم شأنه ، وكان الأَولى بِمِثْلِهِ أَنْ يتبوأ أعلى المناصب ، ولكنه كان صِفْرًا من اللباقة والمُرُونة ؛ فلم ينل ودّ الخلفاء والأمراء وعامة الناس أيضًا ، وكان يستحق أن يعيش في رَغَدٍ ؛ لِمَا حَصَّلَهُ من ثقافاتٍ وعلوم ؛ مما زاده حسرةً وغَمًّا ، وجعله يعيش في صراع دائم مع مجتمعه ، الذي لا يرتفع فيه إلا الأراذل ، لقد كان سيء الحظ في حياته ؛ فنراه تارةً يقول : (الحظ أعمى) (174) ، وأخرى يقول : (لَو أَنْصَفَ الزَّمَانُ المُحَابِي) (175) ، ويعبر شعره عن نِقْمَة مَحْرُوم .

النَّهَمُ الشَّدِيدُ لِلطَّعَامِ :

من ظواهر إسراف ابن الرُّومِيّ النَّهَم الشديد للطعام ، وأوَّل سِمَة نُلاحِظُهَا في ديوانه كثرة وصفه للطعام ، « فما عَرَفَ الأدبُ العربيُّ شاعرًا تَرَكَ في ديوانه مائدة تختلف عليها ألوان الطعام والشراب مثل ما عرفناه عن ابن الرُّومِيّ من هُيَام وشراهة ونَهَم ، ثُمَّ تصوير ذلك وتسجيله على نفسه مِنْ غَيرِ مُبَالاةٍ وبلا تحفُّظ ولا تصوُّن » (176) .

وقد اشتهر بإكثاره من وصف ألوان الطعام في شعره ، وكان يصف الطعام ولونه وطعمه وطريقة تحضيره ومَذَاقِهِ ، وقد اشتهر بِحُبِّهِ للسَّمَك (177) ، وقد رأى رجلاً يقلي الزلابية فوصفه ووصف عمله (178) ، كما وصف دجاجة مَشْوِيَّة أكلها عند أبي بكر الباقطانيّ ، وما قُدِّمَ معها من الثَّرِيد والمُرَقِّقَات والقطائف (179) ، ولم يكن يعشق القطائف وصنوف الحلوى والأطعمة فحسب ، بل كان يعشق معها أيضًا الفاكهة ، من مثل : الموز (180) ، والعنب الرازقيّ (181) ، وعنده قصيدة تصف حِدَّة شراهته

للطعام ، وتسمى (مَجْمَع اللَّذَّات) ، وسُمِّيَتْ بهذا الاسم لِمَا تَغُصُّ به من أطعمة مختلفة ، يبدؤها بقوله : (الرجز)

يَـا سَـائِلِي عَـنْ مَجْمَـعِ اللَّذَاتِ سَـأَلْـتَ عَنْـهُ أَنْعَـتَ النُّعَـاتِ [182]

وتُظْهِرُ هذه القصيدة مدى حُبِّه للطعام ، وقدرته على وصفه ، وكأنه مِنْ أَمْهَرِ الطُّهَاة ، وهو يعترف بشدة نهمه للطعام في قوله في ختام قصيدته : (الرجز)

لَهْفِي عَلَيهَا وَأَنَـا الـزَّعِـيمُ لِمِعْـدَةٍ شَـيطَـانُهَـا رَجِـيمُ [183]

فَإِنَّ معدته لها شيطانٌ موكولٌ بأمرها ، يُوَسْوِسُ لها دائمًا بأطايب الطعام والشراب ، وهو لا يكل ولا يمل عن أداء دوره بأمانةٍ وإتقان ؛ لذا نراه وكأنه يداعبه فهو (شيطانٌ رجيمٌ) ؛ فهو يمدح شيطان معدته من وَرَاءِ حجاب .

كما سُمِّيَتْ قصيدة أخرى (دار البطيخ) ؛ لكثرة الفاكهة التي وَرَدَتْ بها ، واستهلها بقوله : (البسيط)

أَجْنَتْ لَكَ الوَجْدَ أَغْصَـانٌ وَكُـثْبَانُ فِيهِـنَّ نَـوعَانِ : تُفَّـاحٌ وَرُمَّانُ [184]

فقد غَصَّ الديوان بألوانٍ مختلفة من الطعام والشراب ، وهذا يَدُلُّ على شِدَّةِ نَهَمه ، وكان يُقْبِلُ على الطعام إقبالاً شديدًا ؛ فهو لا يَكُفُّ عن الأكل إلا حين يشعر بالتُّخْمَة ، وفي ذلك يقول : (الطويل)

ذَرِينِيَ قُسْطَنْطِينُ آكُلُ شَهْوَتِي وَتُبْشُمُنِـي إِنِّـي بِذَلِـكَ رَاضِـي
فَأَكْثَرُ مَا أَلْقَى مِنَ الزَّادِ كِظَّةٌ مَدَى يَومِهَا وَاليَومُ أَسْرَعُ مَاضِـي
وَلَكِنَّ أَمْرًا قَدْ بُلِيتُ بِحُبِّـهِ قَوَاضِيهِ إِنْ أَنْحَتْ عَـلَيَّ قَوَاضِي[185]

والشهوة العارمة للطعام جعلت الموز فوزًا ، وفوته موت [186] ، وجَعَلَتْ تَنَاوُل المَوز بطعمه اللذيذ كأنه افتراع أبكار ، يقول : (الخفيف)

يَشْهَدُ اللهُ إِنَّـهُ لَـطَـعَـامٌ خُـرَّمِيٌّ يُغَـازِلُ الأَحْشَـاءَ
نَكْهَةٌ عَذْبَـةٌ ، وَطَعْمٌ لَذِيـذٌ سَـاعِدًا نَعْمَـةً إِلَـى نَعْمَـاءَ
وَتَخَالُ انْسِرَابُهُ فِي مَجَارِيـ ـهِ افْتِرَاعَ الأَبْكَارِ ، وَالإِغْفَاءَ [187]

ومِنْ فَرْطِ حُبِّه للطعام جعل الحياة تساوي الموت إذا خَلَتْ من مَلاذِ الطعام ، ومنها فواكه أيلول وقد نضجت ، يقول : (البسيط)

لَولا فَـوَاكِهُ أَيلُـولٍ إِذَا اجْتَمَعَتْ مِنْ كُلِّ نَوعٍ ، وَرَقَّ الجَوُّ وَالمَاءُ
إِذًا لَمَا حَفَلَتْ نَفْسِي مَتَى اشْتَمَلَتْ عَلَيَّ هَائِلَـةُ الجَـالَـينِ غَبْـرَاءُ [188]

وكان « منهومًا بالحلوى والأطعمة الثقيلة ، مستسلمًا للشهوات ، مسرفًا في الشراب » [189] ، وليس بخافٍ أن أكثر الأمراض التي تصيب الإنسان تأتي عن طريق المأكل والمشرب ، وابن الرُّومِيّ يُدْرِكُ ذلك جيدًا ، ولكنه مع ذلك يرفض أن يَعْتَدِلَ في الطعام ، ويُقْبِلَ عليه بغير حساب ، وتَدُلُّ أشعاره على حِدَّة شراهته .

الإِفْرَاطُ فِي المُتَعِ الحِسِّيَّةِ :

من ظواهر إسراف ابن الرُّومِيّ الإفراط في المُتَع الحِسِّيَّة ؛ فَإِنَّ كُرْهَهُ للدنيا ليس بِكُرْهِ المُحْتَقِر ، بل كُرْه المُحِب ، الذي يشعر أنه لم يَبْلُغْ منها وَطَرَهُ ؛ لتهالكه على اللَّذَّات في افتضاحٍ شديد ، وهو « لا يهجوها هجاء الكاره لها ، السائم منها ، بل هجاء الذي لم يجد فيها كُلّ اللَّذَّة التي ينشدها ، والذي لم يُسْمَح له بأن يَعُبَّ كُلَّ قطرة منها ، وأشد ما يكرهه فيها أنه يعرف أنه مُزَايِلها مهما طال فيها بقاؤه » [190] .

ومشكلة ابن الرُّومِيّ أنه يُحِبُّ الحياة بعُمْق ؛ مما دفعه إلى أنْ يستقصي ويُبَالِغ ويَسْتَغْرِق في شهوات البطن والجنس والمعاني الشعريَّة جميعًا ؛ فنرى « الشَّرَاهة في إشباع غرائزه كافة » [191] ، وإسراف في طلب مُتَع الحياة ، واندفاع « مَحْمُوم لانتهاب المَلاذ أَنَّى تَسَنَّى له ذلك » [192] .

ومِمَّا يُدَلِّلُ على شَبَقِهِ الجِنْسِيّ أنه شَبَّهَ الرأس البلقاء بثدي فتاة غرثى شرهة ؛ لذا تَسْعَدُ كَفُّهُ كُلَّمَا مَسَّتْهَا ؛ ومن أجل ذلك لا يلوم مَنْ لَمْ يَذُق النوم بسبب استغراقه في تخيُّل هذا الثدي ، وقد جاء هذا التشبيه في سياق هجاء أبي حفص بالصلع [193] .

وفي هذه الأبيات ما يُغْنِي عن الحديث عن مبلغ إسرافه ونهمه في تحصيل اللَّذَّات ، يقول : (مجزوء الرمل)

لا تَلُمْنِي فَالهَوَى فِيـــ ـهِ جِمَـاحٌ وَطِـمَـاحُ
كُلُّ شَـيءٍ غُلِبَ الصَّبْـ ـرُ إِلَـيـهِ فَمُـبَـاحُ
إِنَّـمَـا الدُّنْـيَـا مَـلاهٍ وَاغْتِبَـاقٌ وَاصْـطِبَـاحُ [194]

ويَرُدُّ العَقَّاد دوافع إسراف ابن الرُّومِيّ إلى تَوَفُّز الحس ، والاستسلام التامّ لرغباته ، وخور عزمه ، بسبب سيطرة إحساس اللحظة الحاضرة عليه ، يقول : « وكان هذا ديدنه في كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ : إسراف واستقصاء لا يمسكهما ضابط ولا تعقدهما عزيمة ، إسراف واستقصاء في النكتة وفي المعنى وفي الدرس وفي الطعام والشراب والشهوات ، لا حد لهما إلا البَشَم والامتلاء واستنفاد ما بين يديه من مادة في ساعتها حتى لا سُؤْر ولا صُبَابة » [195] ؛ « فَإِنَّ هذا الإسراف المُوَكَّل بالاستقصاء في كل مطلب ورغبة خليقٌ ولا غرو أن يُسْقِمَ جسمه وينهك أعصابه ويَتَحَيَّفَ صوابه » [196] .

إنه حريصٌ على العبِّ من مُتَع الحياة ، والاستزادة من لذَّاتَهَا ؛ فنراه عندما يصف مشهدًا جنسيًّا مثيرًا ، يستغرق في تتبُّع تفاصيله [197] ؛ وما ذاك إلا إفراط في المُتَع الحِسِّيَّة ، التي جاءت - بدورها - من أثر الوِسْوَاس القَهْرِيّ ؛ فهو يشتهي بلوغ أقصى تمام اللذة ، وقد واقع الغِلْمَان ، وظهر ذلك جَلِيًّا في شعره [198] ، وهو يُقْبِلُ على كُلِّ لَذَّاتِ الحِسّ بِجَشَعٍ زائد ، وإسرافٍ لا يَعْرِفُ كبحًا .

الإِقْبَالُ عَلَى المَالِ :

من ظواهر إسراف ابن الرُّومِيّ الإقبال على المال ، إنه يُحِبُّ المال ، ويَتَكَالَبُ في سبيل الحصول عليه ؛ لأنه يشد الأزر[199] ؛ وهو لم يَرَ شيئًا صادقًا نفعه كالدِّرْهَم يَقْضِي للمرءِ حَاجَاته [200] ، وقد أَقَرَّ في شعره بحبه الشديد للمال وحرصه عليه ، يقول : (المتقارب)

إِذَا لَمْ يَكُنْ دِرْهَمِي دِرْهَمِيـ ـنِ عِنْدَكَ لَمْ يَزْكُ عِنْدَ الغَرِيبِ
فَزِدْنِيَ فَوقَ الذِي أَسْتَحِقُّـ ـقُ مَا تَسْتَحِقُّ بِحَـقِّ الأَدِيـبِ
وَحَقِّ الأَرِيبِ ، وَحَقِّ اللَّبِيبِ وَحَقِّ الحَسِيبِ ، وَحَقِّ النَّجِيـبِ
وَإِلاَّ فَلا فَـرْقَ فِيمَا لَدَيـ ـكَ بَينَ البَغِيضِ وَبَيـنَ الحَبِيبِ [201]

وتَدُلُّ هذه الأبيات على شَغَفِهِ بِالمَال ، وإقباله عليه ؛ حتى يَطْلُبَ مضاعفته ، وذلك النَّهَم من قبيل الإفراط في المُتَع الحِسِّيَّة ، وهو ثمرة وسوسته ؛ فالموسوس يُقْبِل على المال ، وإذا لم يحصل على مبتغاه هجا أصحاب المال ، ووصفهم بالبخل ، يقول : (الخفيف)

دَائِبًـا يَكْنِـزُ القَـنَاطِيـرَ لِلوَا رِثِ ، وَالعُمْـرُ دَائِبًـا فِـي انْقِضَاءِ
حَبَّذَا كَثْـرَةُ القَنَاطِيـرِ لَـو كَا نَتْ لِـرَبِّ الكُـنُوزِ كَنْـزَ بَـقَـاءِ
يَعْنَـدِي يَـرْحَمُ الأَسِيرُ أَسِيرًا جَـاهِـلاً أَنَّـهُ مِـنَ الأُسَـرَاءِ
لا إِلَى اللهِ يَذْهَبُ الحَائِـرُ البَـا ئِرُ جَـهْـلاً وَلا إِلَـى السَّـرَّاءِ
يَحْسَبُ الحَـظَّ كُـلَّهُ فِـي يَدَيـهِ وَهْوَ مِنْـهُ عَـلَى مَـدَى الجَوزَاءِ
لَيسَ فِي آجِلِ النَّعِـيمِ لَـهُ حَظْـ ـظٌ ، وَمَا ذَاقَ عَـاجِلَ النَّعْمَـاءِ
ذَلِكَ الخَائِـبُ الشَّـقِّيُّ وَإِنْ كَـا نَ يُـرَى أَنَّـهُ مِـنَ السُّـعَـدَاءِ [202]

إنه لم يَرَ مِنَ الأغنياء إلا مَنْ يكنز المال ، ويُقَتِّرُ على نفسه وغيره ؛ فهو يعيش ليجمع المال ، ولكن الحياة نفسها إلى فناءٍ وانتهاء ، ويذهب الرجل الشَّقِيّ ويترك المال لورثته .

وقد سيطرت الشهوة ـ للطعام أو الجنس أو المال ـ على ابن الرُّومِيّ ، ولكنه انتهى منها إلى أقلّ حَدّ ، وفَشِلَ في إشباع هذه الشهوات كلها ، وهنا تتلخص قِصَّة ابن الرُّومِيّ في كلمتين : (يَشْتَهِي ثُمَّ يَنْتَهِي) .

الإِقْذَاعُ فِي الهِجَاءِ :

من ظواهر إسراف ابن الرُّومِيّ الإقذاع في الهجاء ؛ حيث تتميز أهاجيه بلفظها المكشوف ، ومعانيها الفاضحة المباشرة ، والشواهد على ذلك كثيرة ، إنه لا يُبَارى في الهجاء ، ولا « يلحقه فيه أحدٌ من أهل عصره ، غزارة قول ، وخُبْث مَنْطِق » [203] .

ونلاحظ أنه يُلْحِقُ بمهجوه كُلّ المقابح ، ويُلْبِسُهُ كُلّ الرذائل ، فهو يَسْلُبُهُ « الفطنة والكياسة والعِلْم ، ويُلصِق به كُلَّ عُيُوب الحضارة التي يجمعها التبذُّل والتهَالُك

على اللَّذَّات ؛ فإذا حَذَفْتَ من هجوه كُلّ ما أوجبته الحضارة والخلاعة الفاشية في تلك الحضارة فقد حذفت منه شَرّ ما فيه ، ولم يَبْقَ منه إلا ما هو من قبيل الفكاهة والتصوير » [204] .

ويعزو العَقَّاد إفحاش ابن الرُّومِيّ في الهجاء إلى شهوانيته المُفْرِطَة ، يقول : « فالشهوانيَّة هي التي هَوَّنَتْ عليه الإقذاع ، وسَوَّغَتْ له خَوض الفَضَائِحِ ؛ فأوغل فيها غير مستكره ، ولا متحرج » [205] .

ويتميز ابن الرُّومِيّ بخُبْث لسانه وسلاطته ، وتَقَصِّي معايب الناس وإذاعتها ، ووقوعه في أعراضهم ، وكان يُفْرِطُ في الهجاء إلى الحدّ الذي يُؤْذِي المهجو ويُخْزِيه ، ويعرضه للسخرية والامتهان ؛ فقد كان يفضح خَصْمَهُ ويُشَهِّرُ به .

يقول مُحَذِّرًا من التعرض لهجائه : (الوافر)

عَجِبْتُ لِمَنْ تَمَرَّسَ بِي اغْتِرَارًا أَتَـاحَ لِنَفْسِهِ سَهْمًـا مُـصِيـبَا
سَأُرْهِقُ مَنْ تَعَرَّضَ لِي صَعُودًا وَأَكْوِي مِنْ مَيَاسِمِيَ الجَنُوبَـا [206]

وقال يهجو الناس جميعًا ، وهو من أخبث ما جاء في الهجاء : (السريع)

آيَسْتُ مِنْ دَهْـرِي وَمِـنْ أَهْلِـهِ فَلَـيـسَ فِـيـهِـمْ أَحَـدٌ يُـرْضَـى
إِنْ رُمْـتُ مَدْحًا لَـمْ أَجِدْ أَهْلَـهُ أَو رُمْتُ هَجْـوًا لَـمْ أَجِـدْ عِـرْضَا [207]

وهو يندفع في الشتم والذم وبسط اللسان لأهون سبب ، ويثور ثورةً عارمة ، إنَّ الهِجَاءَ في شعره يُعَدُّ صدًى لتلك النفس التي تَحُسُّ بالنقص في أعماقها مِنْ جَرَّاء إصابتها باضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ ؛ فتُسِيء الظن بالناس ، وقد جعل هجاءه سلاحًا يشهره مدافعًا به عن نفسه .

ويُوصَفُ هجاؤه « بالإقذاع والبَذَاءة ، وأنه ، أو بعضه ، سِبَابٌ محض ليس من فن الشعر في شيء ، وكذلك في هجائه لِمَنْ هَجَاهُ من أرباب الوظائف ومِنْ أَهْلِ الغِنَاء ، الرجال والنساء ، لا يُفَرِّق بين حُرٍّ وعبد أو أَمَة ، كما لا يُفَرِّقُ بين شاعر يدخل على الخلفاء وينادم الرؤساء ، ومُغَنٍّ في إحدى حانات بغداد ، إننا نجد صعوبة حقيقيَّة في إيراد نصٍّ بتمامه مما هذا مجراه » [208] .

ونستطيع أن نقول إنَّ هَذَا الهِجَاء الزائد بمنزلة احتجاج نفسيّ على قدره ومنزلته ؛ لذا أخذ يَصُبُّ لعناته على الجميع بلا رِفْق .

مَسْخ المَهْجُوِينَ :

من ظواهر إسراف ابن الرُّومِيّ مسخ المهجوين ، وهو لا يُبَارَى في الوصف الساخر المُضْحِك ؛ حيث يُظْهِرُ عيوب المهجو ، ويُضْحِكُ الآخرين عليه ، وهذه السخرية هي المنفذ لآلامه ، وقد تعامى عن فضائل الناس ، وأمعن في التحديق في نقائصهم ، يتأملها ، ثم يُعْلِنُهَا في شعره في صورة مُشَوَّهة ؛ لعلَّهُ يستردّ ما يفتقده من

الثقة ، ويُخَفِّف عن نفسه ما يعاني من هَوَان ، ويستشعر القُوَّة ، ويستعيد توازنه النفسيّ .

وكما « يُعَبِّرُ الإنسان عما في ضميره غاضبًا أو هادئًا أو جادًّا ، فإنه يُعَبِّرُ كذلك متهكمًا ساخرًا ؛ لأنَّ التهكُّم وسيلة للتنفيس عن النفس أمام صِعَاب الحياة ، ومساوئ المجتمع ، وما تَحُسُّه من حاجةٍ مُلِحَّة لنقد بعض مظاهر النقص في هذه الحياة » (209) .

وقد هجا عمرو النصرانيّ ووضع بدلاً من رأسه الآدمي رأس كلب ، ثُمَّ ما لبث أن انحطَّ به عن ذلك ، عندما انحدر به عن منزلة الكلب ؛ لأنَّ الكلب يُحَامِي عن المواشي ، أما هو فلا يُحَامِي ولا يصول ، وهو يستخدم في ذلك مقدمات منطقيَّة ؛ لينتهي إلى ما يريد من مَسْخٍ وتشويه ، يقول : (مُخَلَّع البسيط)

وَجْهُكَ ، يَا عَمْرُو ، فِيهِ طُولُ وَفِي وُجُوهِ الكِلابِ طُولُ
مَقَابِحُ الكَلْبِ فِيكَ طُرًّا يَزُولُ عَنْهَا ، وَلا تَزُولُ (210)

وأعتقدُ أَنَّ خاصيةَ المَسْخِ تَرْجِعُ إلى أصله اليونانيّ ؛ فهو يعاقب الناس بمسخ صورهم ، كما عاقبت آلهة اليونان البشر بتحويل مَنْ غضبت عليه إلى صورة حيوانيَّة (211) .

ومن العيوب التي رَكَّزَ عليها طُول اللحية ، وجَعَلَها تَدُلُّ على نُقْصَانِ العقل ؛ فَكُلَّمَا طَالَتْ لِحْيَة الفرد نَقُصَ عَقْلُهُ ؛ فهناك تناسبٌ عكسي بين طول اللحية ورجاحة العقل ، يقول : (المتقارب)

إِذَا عَرُضَتْ لِحْيَـةٌ لِلفَتَـى وَطَالَتْ وَصَارَتْ إِلَى سُرَّتِهْ
فَنُقْصَانُ عَقْلِ الفَتَى عِنْدَنَا بِمِقْدَارِ مَا زَادَ فِي لِحْيَتِهْ (212)

ومن ذلك قوله في أبي عليّ بن أبي قرة : (مجزوء الكامل)

أَقِصَرٌ وَعَوَرٌ وَصَلَعٌ فِي وَاحِدِ ؟
شَوَاهِدٌ مَقْبُولَةٌ نَاهِيكَ مِنْ شَوَاهِدِ (213)

مَسَخَتْ هذه الصورة المهجو مسخًا تامًا ؛ إنه يَعِيبُ عليه صَلَعه مع أنه أصلع ، ودفعه إلى ذلك أسباب نفسيَّة ؛ فَهُوَ لا يرى عيبَ نفسه ، ويُعَيِّرُ الآخرينَ بما كان ينبغي أن يستنكره من نفسه أولاً ، وأرى أنه لم ينسَ صلعه المبكر ، الذي مُنِيَ به في صَدْرِ شَبَابِهِ ، ويُعَدُّ هذا نوعًا من الإسقاط ، فقد أَسْقَطَ ما كَرِهَهُ في نفسه على غيره ، ليُقْنِعَ نفسه بأنَّ الناس يشبهونه في القبح ؛ فكأنه يَسُبُّ غيره ويسخر منه قبل أن يَسْخَرَ الناس منه .

لقد أمْعَنَ في التحديق في نقائص الناس ومساوئهم ، وكان يشعر في أثناء عملية المَسْخ « كأنه يقبض مبضعًا يُجْرِيه على أجسام الناس فِي كُلِّ جِهَة ، يُدْمِيهم ، ويَتَفَنَّن في العَبَثِ بهم ، وإيذائهم » (214) .

لقد اتَّخَذَ الهِجَاءَ أداةً للتخويف والابتزاز ، وأُغْرِمَ بهجاء ذَوِي العُيُوب الجَسَدِيَّة المختلفة : من أحدب ، وأعرج ، وكبير الأنف ، وجاحظ العينين ، وضخم الفكين ، وعريض القفا ، كما كان يهجو بقُبْحِ الشكل ، وسوء الخُلُق ، والبُخْل ، والحُمْق ، وقُبْح الصوت ، واللُّؤم ، والجُبْن .

إطَالَة القَصَائِد :

من ظواهر إسراف ابن الرُّومِيّ إطَالَة القَصَائِد ، وقد كان يستقصي ويُطيل ويستريح إلى ذلك « كما يستريح الجَوَادُ الكَرِيم إلى سَعَة المضمار ؛ لأنها تشبع لذَّة القدرة على النظم ، والتمكُّن من اللغة ، وتنفي ظِنَّة العُجْمَة التي كانوا يعيرونه بها » (215) .

وكان يطيل القصائد المدحيَّة ، ويُفْرِطُ في ذلك ؛ حتى تجاوزت بعض قصائده ثلاثمائة بيت ؛ لأنَّ ذلك - من وجهه نظره - يُدَلِّلُ على مقدرته الشعريَّة ، التي يَفُوقُ بها غيره من الشعراء ، وفوق ذلك فإنه بهذا يُرْضِي الممدوح ؛ ويُوَفِّيه حَقَّهُ من الثناء ، يقول : (الكامل)

كُلُّ امْرَئٍ مَـدَحَ امْرَأً لِنَـوَالِهِ فَـأَطَالَ فِيهِ فَقَدْ أَرَادَ هِجَـاءَهُ
لَو لَمْ يُقَـدِّرْ فِيهِ بُعْدَ المُسْتَقَـى عِنْدَ الـوُرُودِ لَمَا أَطَالَ رِشَاءَهُ
غَيرِي ؛ فَإِنِّي لا أُطِيلُ مَدَائِحِي إلاَّ لأُوفِي مَـنْ مَدَحْتُ ثَنَـاءَهُ
وَأَعُـدُّ ظُلْمًـا أَنْ أُقِـلَّ مَدِيحَـهُ عَمْدًا ، وَأَسْخَطُ أَنْ أَقَلَّ عَطَاءَهُ (216)

« وكان يرى فرضًا عليه للممدوح أَنْ يستصعب ولا يستسهل ، فَإِذَا طَرَقَ القَوَافِي السهلة اعتذر من تقصيره » (217) ؛ لأنَّ في إطالة القصيدة دليلاً على طول نَفَسِه ، وقُوَّة شاعريته ؛ إذ إن « المُطِيلَ من الشعراءِ أَهْيَبُ في النفوسِ مِنَ الموجِزِ وَإِنْ أَجَادَ » (218) .

إنه لا يشعر بالاطمئنان إلاَّ بَعْدَ أَنْ يُعِيدَ الشيءَ ويُكَرِّره ويعاوده مرات كثيرة ، وظهر ذلك – جَلِيًّا – في إطالة القصائد ؛ فَإِنَّ وسواسه جعله يعتقد أنه لم يُعْطِ المعنى حقَّهُ مِنْ الاستيفاء ، والفكرة حَقَّهَا مِنَ العَرْض ؛ فأخذ يُطِيلُ الأبيات – عن طريق التفصيل ، والشرح ، والتعليل ، والتحليل - ليستوفي المعنى حَقَّهُ .

اسْتِقْصَاءُ المَعَانِي :

من ظواهر إسراف ابن الرُّومِيّ اسْتِقْصَاء المَعَانِي ؛ فهو حريص على استنفاد المعنى ، والبلوغ به إلى أقصى غاياته ، بسبب ميله إلى التفصيل والشرح ، يقول عنه ابن خَلِّكان (ت681هـ) في (وَفَيَات الأَعْيَان) : « الشاعر المشهور ، صاحب النظم العجيب ، والتوليد الغريب ، يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكامنها ، ويُبْرِزُها في أحسن صورة ، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره ، ولا يُبْقِي فيه بقية » (219) .

وحِرْصُهُ على توليد المعاني جعل صاحب (الوَسَاطة) يقول : « ونحن نستقرئ القصيدة من شعره ، وهي تناهزُ المائة أو تُرْبِي أو تُضْعِفُ ، فلا نَعْثُرُ فيها إلا بالبيت الذي يروق أو البيتين ، ثُمَّ قد تنسلخ قصائد منه وهي واقفة تحت ظِلِّهَا ، جارية على رسلها ، لا يَحْصُلُ منها السامعُ إلا على عدد القوافي وانتظار الفراغ » [220] .

ويشير العَقَّاد إلى أنَّ ابن الرُّومِيّ يُكْثِرُ من استعمال المشتقات والأفعال المزيدة والمصادر كثرة غير ملحوظة في شعر غيره ؛ طلبًا لقُوَّة المعنى ؛ « لأنه يريد أن يتناول المعنى من جميع نواحيه ، ويتدرج به في مختلف درجاته » [221] ، ويؤكد أن استقصاءه للمعاني الشعريَّة والإلحاح في تفريعها وتقليبها من وجوهها المختلفة ما هو إلا علامة من علامات الوِسْوَاس الذي تَمَكَّنَ منه ؛ فهو « لا يريح صاحبه ، ولا يزال يشككه ، ويتقاضاه التثبُّت والاستدراك ؛ فيُمْعِن ثم يمعن حتى لا يجد سبيلاً إلى الإمعان » [222] .

فالاستقصاء سببٌ من أسباب الإطالة ؛ كي يتمكن من الإلمام بالفكرة من جميع جوانبها ، فضلاً عن وِسْوَاسِهِ القَهْرِيّ الذي لا يرضى منه بأقلّ من الإلمام بكل أطراف الموضوع ؛ فهو لا يُرَكِّز ، وإنما يُفَصِّل ، ويُحَلِّل ، ويُبْسِطُ ، ويُوَسِّعُ ، ويَسْتَطْرِد .

المَبْحَثُ الثَّالِثُ : الأَنْمَاطُ السُّلُوكِيَّةُ فِي شِعْرِهِ :

يلجأ المصاب باضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ إلى آليات الدفاع عندما يعجز عن إيجاد حُلُولٍ مناسبة لصراعاته ومشاكله النفسيَّة ؛ ولأنَّ ابن الروميّ لم يمتلك الشعور بالأمن النفسيّ ؛ فقد استعمل آليات الدفاع لتقليل الضغوط النفسيَّة الناشئة من إحباطه في الحياة ؛ كي يُخَفِّف من حِدَّة القلق .

السُّلُوكُ التَّعْوِيضِيّ :

التَّعْوِيضُ (Compensation) :

التعويض من أبرز الحيل النفسيَّة التي يلجأ إليها مريض اضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ ، وهو حيلة دِفَاعِيَّة تعويضية تُظْهِر مَحَاسِن الفرد أمام نفسه وأمام الآخرين ؛ حتى يشعر بالثقة والرضا وتقدير الذات ولو بصورة مؤقتة ، وليكون مرغوبًا من الآخرين ، ويلجأ إليها الفرد ليغطي ضعفًا أو نقصًا ، بأن يُغَالِي في إظهار سمة أقل نقصًا أو أكثر جاذبية ، أو بأن يُغَالِي في النشاط ليُغَطِّي عجزًا [223] ، وقد أُتُّهِمَ ابن الرُّومِيّ بالعُنَّة ؛ لذا دافع عن نفسه بِأَن « ادَّعى فُحُولَةً جَلَبَها الفن وأنكرها الواقع » [224] ؛ فزَعَمَ أنه معشوق الحِسَان ؛ فقد كَتَبَتْ له رَبَّةُ الثَّنَايَا العِذَابِ رسالة شعرية تشتكي فيها طُولَ البُعْدِ والصدّ ، وترجوه أَنْ يَحِنَّ عليها لطول عذابها ، ويُعَجِّلَ باللقاء ، يقول : (الخفيف)

كَبَتَتْ رَبَّةُ الثَّنَايَا العِذَابِ ... تَتَشَكَّى إِلَيَّ طُولَ اجْتِنَابِي
وَأَتَانِي الرَّسُولُ عَنْهَا بِقَولٍ ... لَمْ تُبَيِّنْهُ فِي سُطُورِ الكِتَابِ
أَيُّهَا الظَّالِمُ الذِي قَدَّرَ اللَّـ ... ـهُ بِهِ فِي الأَنَامِ طُولَ عَذَابِي
لَو عَلِمْتَ الذِي بِجِسْمِي مِنَ السُّقْـ ... ـمِ وَضُرِّ الهَوَى لَكُنْتَ جَوَابِي [225]

وهذه المغامرة الغزليَّة تُذَكِّرُنَا بقصص عُمَر بن أبي ربيعة (ت93هـ) الغزليَّة ، والكذب واضح في هذه الأبيات ؛ فلِمَ كُلّ هذا العشق ؟ وقد اعتراه الشيبُ والصلعُ وتقوُّسُ الظهر وضعفُ البصر وأمراض أخرى كثيرة وهو في سِنّ الشباب .

ومن المعروف أنَّ « الدافع إلى التعويض عن الفشل يكون أقوى عادةً من الرغبة الأصليَّة المُحْبِطة ، ويؤدي ذلك إلى الإفراط والمغالاة في التعويض » [226] ؛ فعندما فَشِلَ في علاقاته النسائيَّة على أرض الواقع ، لجأ إلى الخيال وجعله منفذًا لتحقيق هذه العلاقة في شعره ؛ محاولاً إرضاء غرائزه ، يقول في قصيدة أخرى : (المنسرح)

زَارَتْ عَلَى غَفْلَةٍ مِنَ الحَرَسِ ... تُهْدِي إِلَيَّ السَّلامَ فِي الغَلَسِ
كَأَنَّمَا البَدْرُ حِينَ قَابَلَهَا السْـ ... ـسَعْدُ تَجَلَّى فِي حَالِكِ الغَبَسِ
أَنَّى تَجَشَّمْتِ نَحْوَ أَرْحُلِنَا الـ ... ـهَوْلَ وَلَمْ تَرْهَبِي أَذَى العَسَسِ
قَالَتْ : تَرَامَى بِنَا إِلَيكَ مِنَ الشْـ ... ـشَوقِ مُغَصٌّ بِالبَارِدِ السَّلِسِ
كَمْ زَفْرَةٍ لِي تَبِيتُ تُنْهِضُ أَحْـ ... ـشَائِي ، وَدَمْعٍ عَلَيكَ مُنْبَجِسِ
وَأَنْتَ لاهٍ بِغَيرِنَا ، وَلَنَا ... مِنْكَ هَوًى مُمْسِكٌ عَلَى النَّفَسِ
عَجِبْتُ مِنْ ذِلَّتِي ، وَمِنْ قَلْبِكَ الـ ... ـقَاسِي عَلَينَا ، وَخُلْقِكَ الشَّكِسِ [227]

عندما ترامى الشَّوقُ بهذه المرأة العاشقة ذَهَبَتْ إليه بعد أن غَافَلَت الحُرَّاس في ظلمة الليل ، ودار بينهما حوار ، صَرَّحَ فيه الشاعر بتعجبُّه من جرأتها ومجازفتها ؛ ورَدَّتْ عليه بأنَّ حرقتها لبعده لا تنطفئ ، ودموعها من فرط الشوق إليه لا تتوقف ، ولامته لأنه مشغول عنها بغيرها ، على الرغم من شِدَّةِ حُبِّهَا له .

إنَّ الشعور بالنقص أو العجز - في رأي أدلر - « سبب جميع العلل العصبيَّة والأمراض العقليَّة ... والتخلُّص من هذا الشعور يتم إما بادعاء الرفعة والتظاهُر بالعظمة ، وإما بمحاولة القيام بعملٍ يَرْفَعُ قَدْرَ المَرْءِ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ ؛ تعويضًا عَمَّا يَشْعُرُ به فِي قَرَارَة نفسه من نقص » [228] .

وقد عُرِفَ عن ابن الرُّومِيّ الجُبْن والخوف الشديد ، ولكنه حاول إخفاء ذلك بادِّعاءات مزعومة ، فجعل نفسه كثير الأسفار في قوله : (الطويل)

أَذَاقَتْنِيَ الأَسْفَارُ مَا كَرَّهَ الغِنَى ... إِلَيَّ ، وَأَغْرَانِي بِرَفْضِ المَطَالِبِ [229]

وقوله : (الطويل)

وَإِنِّي إِذَا مَا ضِقْتُ ذَرْعًا بِبَلْدَةٍ ... لَجَوَّابُ أَقْطَارِ البِلادِ ذَرُوعُهَا [230]

وقوله : (الطويل)

وَإِنِّي لَرَحَّالُ المَطِيِّ عَلَى الوَنَى ... قَلِيلُ مُبَالاةٍ بِإِنْضَاءِ مَا أُنْضِي
أَشُدُّ لِنَيلِ المَجْدِ رَحْلِي مُشَمِّرًا ... وَهَلْ بَعْدُهُ شَيءٌ أَشُدُّ لَهُ غَرْضِي؟
إِذَا نَاهَضَ العَلْيَاءَ قَومٌ فَقَصَّرُوا ... فَإِنِّي حَرِيٌّ أَنْ يَتِمَّ لَهَا نَهْضِي [231]

والمعروف أَنَّهُ لَمْ يُسَافِرْ إلى أيِّ مكان ، ولم يَبْرُحْ بغداد طوال حياته . كما ادَّعَى أنه ذو حِلْم وصبر وأناةٍ ، يقول : (الطويل)

وَإِنِّي لَذُو حِلْمٍ وَجَهْلٍ وَرَاءَهُ ... فَمَنْ كَانَ مُخْتَلاًّ رَضِيتُ لَهُ حِمْضِي

وَفِيَّ أَنَـاةٌ لا تُـفَـاتُ بِفُـرْصَـةٍ لَهَا سِيـرَةٌ مَـوضُـوعَةٌ وَهْيَ كَالرَّكْضِ
وَإِنّي لَصَبَّارٌ عَلَى الحَقّ يَعْتَـرِي وَلَو كَانَ فِي صَبْرِي لَهُ مَا بَرَى نَحْضِي
إِذَا ضَاقَتِ الأَخْلاقُ أَفْضَتْ خَلائِقِي إِلَى سَـعَةٍ ، مِثْلِي إِلَى مِثْلِهَا يُـفْـضِي [232]

وادَّعَى وُجُودَ خَمْسِينَ صاحبًا له ، يقول : (الخفيف)

لِيَ خَمْسُونَ صَاحِبًا لَو سَأَلْتُ الـ ـقُـوتَ فِيهِـمْ أَلْفَيتُهُمْ سُـمَحَاءَ
أَتُرَى كُـلُّ صَاحِـبٍ لِيَ مِنْهُـمْ يَمْنَعُ الشَّهْـرَ بُـلْـغَتِي إِجْرَاءَ ؟
لِيَ فِي دِرْهَمَيـنِ فِي كُلِّ شَهْـرٍ مِـنْ فِنَـامٍ مَـا يَطْرُدُ الحَوجَاءَ [233]

وادَّعَى صَوَاب رَأْيه ، يقول : (الخفيف)

شَهِـدَ اللهُ وَالمَـوَازِيـنُ وَالقِسْـ ـطُ جَـمِـيـعًـا شِهَـادَةً إِمْضَاءَ
أَنَّ رَأْيِي لَذُو الرَّجَـاحَـةِ وَزْنًـا دَعْ يَمِـيـنِي ، وَزِنْـــهُ وَالآرَاءَ [234]

ويقول : (الوافر)

وَلَسْـتُ مُقَـارِعًا جَـيشًا وَلَكِـنْ بِـرَأْيِي يَسْتَـضِـيءُ ذَوُو القِـرَاعِ
وَإِنّــي لَلقَـوِيِّ عَلَى المَعَالِـي وَمَـا أَنَــا بِـالقَوِيِّ عَلَى الصِّرَاعِ [235]

وادَّعَى الشجاعة في قوله : (الطويل)

وَإِنّـي لَلَيثٌ فِـي الحُـرُوبِ مُظَفَّرٌ مُعَارٌ أَدَاةَ الهَصْـرِ بِـالظَّفْرِ وَالعَـضِّ
إِذَا مَا هَزَزْتُ الرُّمْـحَ يَـومَ كَـرِيهَةٍ لِجَمْعٍ ، فَـذَاكَ الجَمْـعُ أَوَّلُ مُـنْفَـضِّ
تَضَاءَلُ فِي عَينِي الجُمُوعُ لَدَى الوَغَى وَإِنْ هِيَ جَـاءَتْ بِالقَضِيـضِ وَبِالقَضِّ [236]

وهذه ادِّعَاءاتٌ باطلة لا تستند إلى حقائق ، بل إنَّ ما عُرِفَ عنه في هذا المجال ينقضها نقضًا ، ونستطيع من كل ما سبق أن نقول : إن شعور ابن الرُّومِيّ بالنقص ، من أثر وسوسته ، جعله يحاول تحقيق ما أعجزه في الواقع من خلال الفن .

وأيضًا من أنواع التعويض أحلام اليقظة (Day dreams) ، وهي إحدى طرق الفِرَار من الواقع ، ويُسَمِّي العلماء تلك الحالة - التي يستسلم فيها الإنسان لخياله ؛ فيصبح كالنائم وهو مستيقظ ، وكالغافل وهو منتبه ؛ فلا هو بالنائم ولا بالمستيقظ ، ولكنه في حالة خمود وهمود عقليّ ، أقرب ما تكون إلى النوم - أحلام اليقظة [237] ، وهي وسيلة خياليَّة لإرضاء رغبات كامنة في النفس ، بدون تكلُّف المشقات التي تترتب على إرضائها إرضاءً حقيقيًّا [238] ؛ فالرغبة التي لا يمكن أن تتحول إلى فعل واقعيّ تنتقل إلى عالم الأحلام والخيال ، والاستغراق في أحلام اليقظة من أعراض اضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ .

فَإِنَّ ما يتمناه المرءُ ينقلب إلى خيال يدور في الذهن ويُسَيطِرُ عليه ؛ حتى يُخَيَّل إليه أن الخيال حقيقة ؛ فيظل يدور في حيرةٍ من أمره ، والأمر كما يقول ابن الرُّومِيّ : (الطويل)

كَذَاكَ أَرَى الأَشْيَاءَ إِمَّا حَقِيقَةً بَدَتْ لِي وَإِمَّا حُلْمَ مُسْتَيقِظٍ حَلَمْ

وَلَنْ يَحْلُمَ اليَقْظَانُ إلاَّ وَقَدْ أَتَتْ عَلَى لُبِّه دَهْيَاءُ هَائِلَـةُ الفَـقَمْ [239]

إنه يعيش في عالَمٍ من صنع خياله المريض ؛ ليهربَ من الواقع الأليم ، ولِيُحَقِّقَ السعادة الطارئة ؛ فنراه – في بعض أشعاره – تحت تأثير الوِسْوَاس القَهْرِيّ ، يصف نفسه بأنه معشوق النساء ، كثير الأسفار ، جمّ الشجاعة ، حصيف العقل ، وكأنه يلبس قناعًا يُخْفِي وراءه شخصيته الحقيقيَّة ، ولكن سيرة حياته تُثْبِتُ أَنَّ كُلَّ هذه الأشعار ادعاءات زائفة ، وقد لجأ إلى الادعاء في شعره ؛ خلافًا لما اعتاد عليه من الصراحة والتلقائية ؛ دفاعًا عن نفسه ، ولِيُعَزِّي نفسه عما فقده من أشياء كان يرغب في الاستحواذ عليها .

السُّلُوكُ الإنْكَارِيّ :

التَّبْرِيرُ (Rationalization) :

من الأنماط السُّلُوكِيَّة التي ظهرت عند ابن الرُّومِيّ ، بوصفه مصابًا باضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ التبرير ، وهي عملية يحاول الشخص من خلالها « إضفاء تفسير متماسك من وجهة نظر منطقيَّة ، أو مقبول من وجهة نظر خُلُقِيَّة ، لموقف ، أو فعلٍ ، أو فكرة ، أو شعور ، تغرب دوافعها الحقيقية عن باله ، ويجري الحديث بشكل أكثر تحديدًا عن تبرير عارض ، أو اضطرار دفاعيّ ، أو تكوين عكسيّ » [240] .

فَإِنَّ الشخص يُلَفِّقُ أسبابًا واهية كي يُبَرِّرَ موقفًا من المواقف يشعر في قرارة نفسه بعدم الرضا عنه ، ويَعْلَمُ أَنَّ النَّاسَ يرفضونه ، ويلومونه عليه ، وهو يلجأ إلى التبرير للدفاع عن نفسه ، ورفع الحرج عنها ، ولتزيين صورته أمام الآخرين ؛ ولإخفاء ما يستشعر به من نقص .

وعندما دعاه أحمد بن ثَوَابة للخروج إليه وركوب دجلة اعتذر له في قصيدة ضافية ، ووصف له أهوال السفر بَرًّا وبحرًا ، وامتنع عن الذهاب إليه ، ومع ذلك أعلن طمعه في عطائه ؛ وقال إِنَّه قَعَدَ عَنْهُ خِيفَةَ نَكْبَةٍ ، وبَرَّرَ ما دفعه إلى رفض دعوته بأنه اُضْطُرَّ إلى هذا المسلك بسبب ما قاساه من نكباتٍ ، الواحدة تلو الأخرى ؛ حتى كَرِهَ السفر ، وعَزَمَ على ألا يسافر أبدًا ؛ لأنَّ صَبْرَهُ على ضِيقِ العَيشِ أَيسَرُ مَحْملاً مِنْ تَعْرِيضِ نَفْسَهُ للهلاك عن طريق السفر بَرًّا أو بحرًا ، يقول : (الطويل)

وَمِنْ نَكْبَةٍ لاقَيتُـهَا بَـعْدَ نَـكْـبَـةٍ رَهِبْتُ اعْتِسَافَ الأَرْضِ ذَاتِ المَنَاكِبِ [241]

وقد مارس نوعًا من خداع الذات ، أو التبرير في شعره ، يقول : (الطويل)

وَمَنْ يَلْقَ مَـا لاقَيتُ فِـي كُلِّ مُجْتَنًى مِنَ الشَّوكِ يَزْهَدْ فِـي الثِّمَارِ الأَطَايِبِ [242]

لقد قاسى من وعثاء السفر ، الذي لا طائل من ورائه إلا المشقة والعناء ؛ لذا زهد في ثمرته الطيبة ، وألزم نفسه الامتناع عنه .

النُّكُوصُ (Regression) :

ارتبط اضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ بالحيلة الدفاعيَّة المعروفة باسم الارتداد أو النُّكُوص [243] ؛ حيث يحدث في العُصَاب القَهْرِيّ نكوصٌ للدوافع الغريزيَّة إلى مرحلة جنسيَّة سابقة ؛ نظرًا لمعارضة الأنا ، ويقوم هذا النُّكُوص بوضوح بالعمل نفسه الذي يقوم به الكبت [244] .

والنُّكُوص حيلة دفاعيَّة تعني « العودة إلى أساليب في التعبير والتماهي والسُّلُوك تَجَاوَزَهَا المرءُ خلال نموه وتقدمه نحو النضج الراشد ؛ فالنُّكُوص يفترض أَنَّ عملية النمو تَمُرُّ بِعِدَّةِ مراحل على المستوى العاطفيّ الجنسيّ ، العلائقيّ والسلوكيّ والانبنائيّ . ويحدث فيها إذن عودة إلى الوراء من مرحلة نُضْج متقدم ، إلى أخرى طِفْلِيَّة ، مثلاً النُّكُوص مِنْ مرحلة الاستقلال والمسئولية ، إلى مرحلة أكثر طِفْلِيَّة تتميَّز بالاتكال والتبعيَّة » [245] ، ويحدث النكوص عند الراشد بوصفه رد فعل على « مآزق لا يجد له منها مخرجًا ، ولا تؤمن له إشباعًا لحاجاته الحيويَّة ؛ فينكص إلى أساليب أكثر بدائيَّة في مجابهة الواقع . إنه لا يعود طفلاً بشكل فعليّ ، بل يتصرف انطلاقًا من وضعيَّة الطفل وأسلوبه » [246] .

ونستطيع أن نقول إنّ ابن الرُومِيّ بسبب الإحباط الذي عاناه في حياته ، أُصِيبَ بالخوف الشديد ؛ مِمَّا دَفَعَهُ إلى التراجُع إلى المرحلة التي تُمَثِّل له عالم المُتْعَة والهناء ، وتَنَاسِي المُشْكِلات ، والعَبَث بِكُلِّ ما يُقَابِله ، ويوصف هذا بالنُّكُوص ؛ فهو - كما قال العقاد - « طفلٌ كبير لا يفرغ من الطفولة طول حياته » [247] ؛ فحياته أشبه بالطفولة « النامية ، التي لا تجف ولا تشيخ ، وإن جَفَّتِ المفاصل وشاخت الأوصال »[248] .

وهذا النكوصُ مَظْهَرٌ للغضب والخوف ، وفي الوقت نفسه محاولة لتخفيف القلق والتوتر ؛ وعن طريق (النكوص) ، واللجوء إلى عالم الخيال والوهم ، يحاول ابن الرومي تحقيق عملية التوافُق ، بعدما استحالت عليه إمكانية إشباع دوافعه بالطريقة السَّوِيَّة .

الخاتمة ونتائج البحث

يهدف هذا البحث إلى التدليل - من خلال الشواهد والأخبار المختلفة - على إصابة ابن الرُّومِيّ باضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ ، وتَقَصِّي أسباب نشأة أو تكوين هذا الاضطراب ، وأثره في أفكاره وأفعاله ومِنْ ثَمَّ شعره ، ومعرفة دوره في سُلُوكِه الاجتماعيّ ، ورصد الأنماط السلوكيَّة في شعره ؛ بغية كشف الصلة بين إبداعه وعِلَّته .

والوِسْوَاس القَهْرِيّ مَرَضٌ نَفْسِيّ يحول دون سُلُوك المريض سُلُوكًا سَوِيًّا ، وهو مِن الاضطرابات النفسيَّة التي تُسَبِّبُ ألمًا ومعاناة ، ويندرج تحت تصنيف عريض هو (اضطرابات القلق) ، وهو اضطراب نفسيّ ينعكس على الجسم ؛ فيصاب ببعض الأمراض والاضطرابات النفسيَّة الجسميَّة ، ويتكون السُّلُوك القهريّ عندما يكتشف الفرد أن سلوكًا معينًا يُخَفِّف القلق المرتبط بالفكر الوسواسيّ .

ولم تكن شخصيَّة ابن الرُّومِيّ شخصيَّة سَوِيَّة ؛ فقد ظهرت عليها سمات المرض النفسيّ والعقليّ ، كما انفردت بمواقف غريبة استعصت على القياس بضوابط العقل والمَنْطِق ، وقد ترك ذلك الاضطراب أثره في سُلُوك الشاعر وشعره ، وجعله مدفوعًا بشعور باطنيّ قاهر لا يملك له دفعًا ، وقُوَّة خَفِيَّة لا يدري ما كُنهها ؛ ليخضع لأفكار تسلطيَّة وأفعال قهريَّة .

لقد أنهك اضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ ابن الرُّومِيّ ، ثم افترسته العِلَل الجِسْمِيَّة والنفسيَّة الأخرى ، وأول أسباب هذا الاضطراب الضغوط النفسيَّة ، وترجع أسباب إصَابته به إلى الفشل في التعامل مع الآخرين ، والعجز عن حَلِّ بعض المشكلات ، والإحباط المستمر في المجتمع ، والتهديد المتواصل بالحرمان ، وفقدان الشعور بالأمن .

وكان لاضطراب الوِسْوَاس القَهْرِيّ - لا محالة - أثرٌ كبيرٌ في شعر ابن الرُّومِيّ ، ومن الأفكار التَّسَلُّطِيَّة التي قامت بدور بارز في هذا المرض : القلق ، والخَوف المَرَضِيّ ، والشعور بالاضطهاد ، وانعدام الثقة بالنفس ، والشك ، وسيطرة الوهم ، وفساد التفكير ، والتشاؤم ، والاكتئاب .

من الأفعال القهريَّة المصاحبة لهذا المرض : التكرار ، والدقة الزائدة ، وتقلب المزاج ، والتردُّد وصعوبة اتخاذ القرار ، والجمود ، والانطواء ، والإسراف .

ومن ظواهر إسراف ابن الرُّومِيّ : الإلْحَاح فِي طَلَب العَطَاءِ ، والنهم الشديد للطعام ، والإفراط في المتع الحِسِّيَّة ، والإقبال على المال ، والإقذاع في الهجاء ، ومسخ المهجوين ، وإطالة للقصائد ، واستقصاء المعاني .

أما عن الأنماط السلوكيَّة في شعره ؛ فقد لجأ إلى السلوك التعويضيّ والسلوك الإنكاريّ .

وقد انتهيتُ إلى أن هناك علاقة وثيقة بين إبداع ابن الرومي الفنيّ ومرضه النفسيّ والجسميّ ؛ فقد سيطر هذا الاضطراب على شخصيته ، وإليه يرجع تناقضه ؛ فقد كَشَفَتُ عن إصابته بالوِسْوَاس القَهْرِيّ ، وأقمتُ الدليل على ذلك .

وتجدر الإشارة إلى أنَّ شخصية ابن الرُّومِيّ ما زالت في حاجة إلى مزيدٍ من البحث والدراسة من وجهة نظر المنهج النفسيّ على وجه الخصوص .

الحواشي

(1) مصطفى حجازي : التخلف الاجتماعيّ ؛ مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ، المركز الثقافيّ العربيّ ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 9 ، 2005م ، ص 255 .

(2) عبد الله الزهراني ومحمد بني يونس : سمات الشخصيَّة المميزة للأفراد المصابين ببعض الاضطرابات النفسيَّة بمنطقة الباحة في المملكة العربيَّة السعوديَّة ، المجلة الأردنيَّة للعلوم الاجتماعيَّة ، الأردن ، المجلد 3 ، العدد 2 ، 2010م ، ص163 .

(3) فهد بن سعيد العنزي : الوسواس القهري وعلاقته بالعوامل الخمسة الكبرى للشخصية ؛ دراسة وصفية ارتباطية ، مقدمة لاستكمال متطلبات درجة ماجستير في العلوم الاجتماعية ، كلية الدراسات العليا ، نايف ، 1427- 1428هـ ، ص 13.

(4) فرويد : الكَفّ والعَرَض والقَلَق ، ترجمة محمد عثمان نجاتي ، دار الشروق ، القاهرة ، ط4 ، 1409هـ - 1989م ، ص 19 من مقدمة المترجم .

(5) عبد الرحمن العيسوي : علم النفس العام ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2000م ، ص 208 .

(6) أحمد محمد الزعبي : الأمراض النفسية والمشكلات السلوكية والدراسية عند الأطفال ، دار الحكمة اليمنية ، جامعة صنعاء ، 1994م ، ص 69 .

(7) فهد بن سعيد العنزي : الوسواس القهري وعلاقته بالعوامل الخمسة الكبرى للشخصية ، ص 27 .

(8) كمال دسوقي : ذخيرة علوم النفس ، الدار الدولية ، القاهرة ، 1988م ، 281/1 .

(9) أكرم زيدان : سيكولوجية المقامر ؛ التشخيص والتنبؤ والعلاج ، سلسلة عالم المعرفة (313) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، مارس 2005م ، ص 27 .

(10) أحمد محمد عبد الخالق ، عبد الغفار عبد الحكيم الدماطي : الوسواس القهري ؛ دراسة على عينات سعودية ، مجلة دراسات نفسية ، القاهرة ، المجلد الخامس ، العدد الأول ، 1995م ، ص 2 .

(11) أحمد محمد عبد الخالق : سيكولوجية الموت والاحتضار ، مجلس النشر العلمي ، لجنة التأليف والتعريب والنشر ، الكويت ، ط1 ، 2005م ، ص 108 .

(12) أحمد محمد عبد الخالق ، عبد الغفار عبد الحكيم الدماطي : الوسواس القهري ، ص 2 .

(13) فهد بن سعيد العنزي : الوسواس القهري وعلاقته بالعوامل الخمسة الكبرى للشخصية ، ص 13 – 14 .

(14) فرويد : التحليل النفسيّ للعُصَاب الوِسْاسِيّ (رَجُل الجرذان) ، ترجمة جُورج طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1987م ، ص 5- 6 من مقدمة الكتاب .

(15) الحصري القيرواني : زَهْرُ الآداب وثَمَرُ الألباب ، قدم له وشرحه ووضع فهارسه صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1426هـ - 2005م ، 222/2- 223 .

(16) محمد مياسا : الصحة النفسية والأمراض النفسية والعقلية وقايةً وعلاجًا ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1997م ،ص152.

(17) وليد سرحان : الوسواس القهري ، سلسلة سلوكيات ، السلسلة السابعة ، 2008 م ، ص 19- 20 .

(18) آمال عبد القادر جودة : الوسواس القهري وتأثيره على الصحة النفسية ، بسلم مجلة جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ، العدد (365) ، مطبعة الأمل ، القدس ، فلسطين ، 2005م ، ص 52 .

(19) المرجع السابق ، ص 52 .

(20) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(21) ابن الروميّ : ديوان ابن الرومي ، تحقيق حسين نصار ، مركز تحقيق التراث ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، طبعة ثالثة منقحة ، 1424هـ - 2003م ، 1196/3- 1197 .

(22) المصدر السابق ، 1224/3 .
(23) المصدر السابق ، 1204/3 .
(24) المصدر السابق ، 1199/3 .
(25) المصدر السابق ، 1190/3 .
(26) المصدر السابق ، 1191/3 .
(27) المصدر السابق ، 1240/3 .
(28) المصدر السابق ، 1171/3 .
(29) المصدر السابق ، 1231/3 .
(30) المصدر السابق ، 2460/6 .
(31) المصدر السابق ، 98/1.
(32) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
(33) عباس محمود العقاد : ابن الرومي ؛ حياته من شعره ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2009م ، ص 106 .
(34) صالح حسن اليظي : أثر التشاؤم في شعر ابن الروميّ ؛ رؤية نقدية تحليلية ، مركز الإسكندرية للجمع التصويري والتجارة ، الإسكندرية ، ط1 ، 1407هـ - 1987م ، ص 126 .
(35) ابن الروميّ : ديوان ابن الرومي ، 2464/6 .
(36) المصدر السابق ، 2574/6 .
(37) عباس محمود العقاد : ابن الرومي ؛ حياته من شعره ، ص 91 .
(38) ابن الروميّ : ديوان ابن الرومي ، 82/1 ، 90 .
(39) المصدر السابق ، 104/1 .
(40) محمد محروس الشناوي : نظريات الإرشاد والعلاج النفسي ، دار غريب ، القاهرة ، د . ت ، ص 133 .
(41) ابن الروميّ : ديوان ابن الرومي ، 139/1- 140 .
(42) المصدر السابق ، 5 / 2091 .
(43) المصدر السابق ، 2 /505 .
(44)المصدر السابق ، 1463/4 .
(45) المصدر السابق ، 1438/4 .
(46) المصدر السابق ، 574/2 ، 586 ، 1587/4.
(47) المصدر السابق ، 586/2 .
(48) المصدر السابق ، 574/2 .
(49) المصدر السابق ، 586/2 .
(50) المصدر السابق ، 629/2- 630.
(51) المصدر السابق ، 139/1- 140 .
(52) المصدر السابق ، 586/3 .
(53) المصدر السابق ، 256/1 .
(54) المصدر السابق ، 217/1 .
(55) المصدر السابق ، 585/2 .
(56) المصدر السابق ، 175/1 .

(57) المصدر السابق ،1 / 91 .
(58) المصدر السابق ، 56/1 – 57 .
(59) المصدر السابق ، 1825/5 – 1827 . عباس محمود العقاد : ابن الرومي ؛ حياته من شعره ، ص 133 - 134 .
(60) ابن الروميّ : ديوان ابن الرومي ، 251/1- 253 . عباس محمود العقاد : ابن الرومي ؛ حياته من شعره ، ص 135 .
(61) المصدر السابق ، 667/2 .
(62) المصدر السابق ، 500/2 .
(63) المصدر السابق ، 1068/3 – 1069 .
(64) المصدر السابق ، 406/1 .
(65) المصدر السابق ، 272/1 .
(66) المصدر السابق ، 1258/3 .
(67) المصدر السابق ، 275/1 .
(68) المصدر السابق ، 741/2 – 745 .
(69) صالح اليظي : أثر التشاؤم في شعر ابن الرومي ، ص 80 .
(70) عباس محمود العقاد : ابن الرومي ؛ حياته من شعره ، ص 65 .
(71) المرجع السابق ، ص 144 .
(72) المسعوديّ : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الأندلس ، بيروت ، لبنان ، 1385هـ - 1966م ، 198/4- 199 .
(73) أحمد عزت راجح : أصول علم النفس ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط7 مزيدة منقحة ، 1968م ، ص 494 .
(74) فرويد : الكَفّ والعَرَض والقَلَق ، ص 103 .
(75) المرجع السابق ، ص 33- 34 من مقدمة المترجم .
(76) المرجع السابق ، ص 26 من مقدمة المترجم .
(77) المرجع السابق ، ص 14 من مقدمة المترجم .
(78) زكريا إبراهيم : مشكلة الإنسان ، مجموعة مشكلات فلسفية (2) ، مكتبة مصر ، القاهرة ، 1972م ، ص 22- 23 .
(79) لورانس برفين :علم الشخصيَّة ، ترجمة عبد الحليم محمود السيد ، أيمن محمد عامر ، محمد يحيى الرخاوي ، مراجعة عبد الحليم محمود السيد ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط1 ، 2010م ، 184/1.
(80) ابن الروميّ : ديوان ابن الرومي ، 214/1 .
(81) المصدر السابق ، 216/1 .
(82) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
(83) المصدر السابق ، 1/ 216 - 217.
(84) محمد النويهيّ : ثقافة الناقد الأدبيّ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط1 ، 1949م ، ص 282 .
(85) ابن الروميّ : ديوان ابن الرومي ، 214/1 .
(86) المصدر السابق ، 215/1 - 216 .
(87) المصدر السابق ، 225/1 .
(88) المصدر السابق ، 305/1 .

(89) إبراهيم أحمد أبو زيد : سيكولوچية الذات والتوافق ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1987م ، الفصل الثاني (مفهوم الذات ؛ طبيعته – تكوينه – تأثيره في السلوك) ، ص 63- 152 .

(90) أي « التوفيق بين دوافعه المتصارعة توفيقًا يرضيها جميعًا إرضاءً متزنًا » . أحمد عزت راجح : أصول علم النفس ، ص512 .

(91) المرجع السابق ، ص367 .

(92) فرويد : التحليل النفسيّ للعُصَاب الوِسْاسِيّ (رَجُل الجرذان) ، ص 84 .

(93) المرجع السابق ، ص 95 .

(94) المرجع السابق ، ص 94 .

(95) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(96) الشريف الجُرْجَانِيّ : كتاب التعريفات ؛ مُعْجَم فلسفيّ مَنْطِقِيّ صُوفِيّ فِقْهِيّ لُغَوِيّ نَحْوِيّ ، تحقيق عبد المنعم الحفني ، دار الرشاد ، القاهرة ، 1991م ، ص 145 .

(97) إيليا سليم الحاوي : فن الهجاء ؛ وتطوره عند العرب ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1418هـ - 1998م ، ص 543 .

(98) محمد النويهيّ : ثقافة الناقد الأدبيّ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط1 ، 1949م ، ص 282 .

(99) عبد المنعم الحفني : المعجم الفلسفي ، الدار الشرقية ، القاهرة ، ط1 ، 1410هـ - 1990م ، ص383 .

(100) عباس محمود العقاد : ابن الرومي ؛ حياته من شعره ، ص 161 .

(101) المرجع السابق ، ص 181 .

(102) المرجع السابق ، ص 210 .

(103) صالح اليظي : أثر التشاؤم في شعر ابن الرومي ، ص 88 .

(104) عباس محمود العقاد : ابن الرومي ؛ حياته من شعره ، ص 166 .

(105) حامد عبد القادر ومحمد عطية الإبراشي : في علم النفس ، المطبعة المصرية ، القاهرة ، ط1 ، 1352هـ - 1934م ، 171/3 - 172 .

(106) المرجع السابق ، 387/3 – 388 .

(107) الحصري القيرواني : زَهْرُ الآداب وثَمَرُ الألباب ، 219/2 .

(108) المصدر السابق ، 222/2 .

(109) ابن رشيق القيرواني : العمدة ؛ في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط5 ، 1401هـ - 1981م ، 69/1 .

(110) الحصري القيرواني : زَهْرُ الآداب وثَمَرُ الألباب ، 214/2 – 215 .

(111) ابن الروميّ : ديوان ابن الرومي ، 5 / 1855 - 1856.

(112) المصدر السابق ، 1856/5 .

(113) المصدر السابق ، 215/1 .

(114) المصدر السابق ، 2 /586 ، 4 / 1551 .

(115) فهد بن سعيد العنزي : الوسواس القهري وعلاقته بالعوامل الخمسة الكبرى للشخصية ، ص 41 .

(116) المرجع السابق ، ص 42 .

(117) عبد الرحمن العيسوي : علم النفس الإكلينيكي ، الدار الجامعية للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1992م ، ص 152 .

(118) ابن رشيق القيرواني : العمدة ؛ في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، 265/1 .

(119) المصدر السابق ، 238/2 .

(120) المصدر السابق ، 286/1 .

(121) المصدر السابق ، 262/1 .

(122) عباس محمود العقاد : مراجعات في الآداب والفنون ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، 2013م ، ص 106 .

(123) ابن الروميّ : ديوان ابن الرومي ، 96/1 .

(124) المصدر السابق ، 133/1 .

(125) المصدر السابق ، 586/2 .

(126) المصدر السابق ، 1551/4 .

(127) المصدر السابق ، 624/2 ، 626 .

(128) المصدر السابق ، 244/1 .

(129) المصدر السابق ، 231/1 .

(130) المصدر السابق ، 1698/4 .

(131) المصدر السابق ، 2379/6 .

(132) المصدر السابق ، 1571/4 .

(133) المصدر السابق ، 1592/4 .

(134) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(135) عباس محمود العقاد : ابن الرومي ؛ حياته من شعره ، ص 257 .

(136) انظر : المرجع السابق ، ص 211 .

(137) المَرْزُبَاني : معجم الشعراء ، سلسلة الذخائر (93) ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، تقديم محمود علي مكي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، 2003م ، ص 145.

(138) ابن رشيق القيرواني : العمدة ؛ في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، 160/1 .

(139) ابن الروميّ : ديوان ابن الرومي ، 2003/5 .

(140) ابن سنان الخفاجي : سر الفصاحة ، تحقيق على فوده ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط2 ، 1414هـ - 1994م ، ص 171 .

(141) ابن الروميّ : ديوان ابن الرومي ، 359/1 .

(142) المصدر السابق ، 133/1 .

(143) المصدر السابق ، 1144/3 .

(144) المَرْزُبَاني : معجم الشعراء ، ص 145.

(145) ابن الروميّ : ديوان ابن الرومي ، 1109/3 .

(146) المصدر السابق ، 187/1 .

(147) المصدر السابق ، 395/1- 397 .

(148) المصدر السابق ، 1 /231 ، 4 / 1698 .

(149) المصدر السابق ، 4 / 1399 .

(150) المصدر السابق ، 748/2 .

(151) المصدر السابق ، 808/2 .

(152) المصدر السابق ، 214/1 .

(153) عباس محمود العقاد : ابن الرومي ؛ حياته من شعره ، ص 161 .

(154) برفين :علم الشخصيَّة ، 345/2 .

(155) أحمد عبد الستار الجواري : الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري , المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت , ط1 , 2006م ، ص267 .

(156) محمد النويهيّ : ثقافة الناقد الأدبيّ ، ص 331 .

(157) عباس محمود العقاد : ابن الرومي ؛ حياته من شعره ، ص 91 .

(158) ابن الروميّ : ديوان ابن الرومي ، 2131/5 – 2132 .

(159) عباس محمود العقاد : ابن الرومي ؛ حياته من شعره ، ص 93 .

(160) الحصري القيرواني : زَهْرُ الآداب وثَمَرُ الألباب ، 222/2 .

(161) عباس محمود العقاد : ابن الرومي ؛ حياته من شعره ، ص 93 .

(162) يوسف مراد : مبادئ علم النفس العام ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1 ، 1948م ، ص 348- 349 .

(163) ابن الروميّ : ديوان ابن الرومي ، 564/2 – 565 .

(164) المصدر السابق ، 687/2.

(165) المصدر السابق ، 696/2.

(166) المصدر السابق ، 1 / 81 – 91 .

(167) المصدر السابق ،1 /91 .

(168) المصدر السابق ،260/1.

(169) المصدر السابق ،247/1.

(170) المصدر السابق ، 615/2.

(171) المصدر السابق ، 2448/6 .

(172) المصدر السابق ، 199/1- 201 .

(173) المصدر السابق ،282/1 .

(174) المصدر السابق ، 270/1 .

(175) المصدر السابق ، 286/1 .

(176) علي علي صبح : البناء الفني للصورة الأدبية عند ابن الرومي ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، 1996م ، ص 167.

(177) ابن الروميّ : ديوان ابن الرومي ، 1810/5- 1811 .

(178) المصدر السابق ، 1 / 353 .

(179) المصدر السابق ، 3 / 954- 955 .

(180) المصدر السابق ، 1 /209 .

(181) المصدر السابق ، 3 /987 - 989 .

(182) المصدر السابق ، 6 / 2648- 2649 .

(183) المصدر السابق ، 2649/6 .

(184) انظر : المصدر السابق ، 2419/6 – 2435 .

(185) المصدر السابق ، 4 / 1399 .

(186) المصدر السابق ،61/1 .

(187) المصدر السابق ، 61/1 - 62.

(188) المصدر السابق ، 55/1.

(189) عباس محمود العقاد : ابن الرومي ؛ حياته من شعره ، ص 211 .
(190) محمد النويهيّ : ثقافة الناقد الأدبيّ ، ص 156 .
(191) صالح اليظي : أثر التشاؤم في شعر ابن الرومي ، ص 65 .
(192) المرجع السابق ، ص 19 .
(193) المصدر السابق ، 6/ 2618 .
(194) المصدر السابق ، 549/2 .
(195) عباس محمود العقاد : ابن الرومي ؛ حياته من شعره ، ص 104 .
(196) المرجع السابق ، ص 105 .
(197) انظر : ابن الروميّ : ديوان ابن الرومي ، 561/2 .
(198) المصدر السابق ، 1/ 398 .
(199) ابن الروميّ : ديوان ابن الرومي ، 962/3 .
(200) المصدر السابق ، 4/ 1585 .
(201) المصدر السابق ، 1/ 148 .
(202) المصدر السابق ، 1/ 69 – 70 .
(203) المَرْزُبَاني : معجم الشعراء ، ص 145.
(204) عباس محمود العقاد : ابن الرومي ؛ حياته من شعره ، ص 181 .
(205) المرجع السابق ، ص 181 .
(206) ابن الروميّ : ديوان ابن الرومي ، 328/1 .
(207) المصدر السابق ، 1421/4 .
(208) نسيمة راشد الغيث : الغناء والقيان والمغنون في شعر ابن الرومي ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، الرسالة 240 ، الحولية 26 ، مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت ، 1427هـ - 2006م (مارس) ، ص 21 .
(209) قحطان رشيد التميمي : اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري ، دار المسيرة ، بيروت ، د . ت ، ص 361 .
(210) ابن الروميّ : ديوان ابن الرومي ، 2003/5 .
(211) عندما غضب الإله جوبتير على ليكاوون لتجبره وتحديه له مسخه ذئبًا ، رأسه فقط رأس ذئب ، وكسا جلده شعرًا ، ولكن قوامه قوام آدمي ، وتحول أخوه فايتون إلى أشجار، وتحول كاليستو إلى دب ، ومُسِخ كورنيسب غرابًا ، ومُسِخ أوكيري فرسًا .
- انظر : أوفيد : مسخ الكائنات ، ترجمه وقدم له ثروت عكاشة ، راجعه على الأصل اللاتيني مجدي وهبة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط1 ، 1971م ، ص 64 – 65 ،97 ، 100، 104 .
(212) ابن الروميّ : ديوان ابن الرومي ، 386/1 .
(213) المصدر السابق ، 769/2 .
(214) إيليا سليم الحاوي : ابن الرومى ؛ فنه ونفسيته من خلال شعره ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط 2 ، 1980م ، ص 107 .
(215) عباس محمود العقاد : ابن الرومي ؛ حياته من شعره ، ص 253 .
(216) ابن الروميّ : ديوان ابن الرومي ، 1 / 111.
(217) عباس محمود العقاد : ابن الرومي ؛ حياته من شعره ، ص 252 .
(218) ابن رشيق القيرواني : العمدة ؛ في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، 186/1 .

(219) ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1970م ، 3/ 358.

(220) القاضي الجرجاني : الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1386هـ - 1966م ، ص 54 .

(221) عباس محمود العقاد : ابن الرومي ؛ حياته من شعره ، ص 257 .

(222) المرجع السابق ، ص 106 .

(223) عبد المنعم الحفني : موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1975م ، 152/1 .

(224) صالح اليظي : أثر التشاؤم في شعر ابن الرومي ، ص 76 .

(225) ابن الروميّ : ديوان ابن الرومي ، 1/ 330 .

(226) حلمي المليجي : علم النفس المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1985م ، ص 118 .

(227) ابن الروميّ : ديوان ابن الرومي ، 3/ 1228- 1229 .

(228) حامد عبد القادر : دراسات في علم النفس الأدبي ، لجنة البيان العربي ، المطبعة النموذجية ، القاهرة ، 1367هـ - 1949م ، ص25.

(229) ابن الروميّ : ديوان ابن الرومي ، 1/ 213 .

(230) المصدر السابق ، 1522/4 .

(231) المصدر السابق ، 1382/4 .

(232) المصدر السابق ، 1380/4- 1382 .

(233) المصدر السابق ، 89/1 .

(234) المصدر السابق ، 85/1 .

(235) المصدر السابق ، 1472/4 .

(236) المصدر السابق ، 1381/4.

(237) حامد عبد القادر ومحمد عطية الإبراشي : في علم النفس ، المطبعة المصرية ، القاهرة ، ط1 ، 1352هـ - 1934م ، 255/2 .

(238) المرجع السابق ، 257/2 .

(239) ابن الرومي : ديوان ابن الرومي ، 2311/6 .

(240) جان لابلانش وج . ب . بونتاليس : معجم مصطلحات التحليل النفسي ، ترجمة مصطفى حجازي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط2 منقحة ، 1407هـ - 1987م ، ص 151 .

(241) ابن الروميّ : ديوان ابن الرومي ، 214/1 .

(242) المصدر السابق ، 213/1 .

(243) فهد بن سعيد العنزي : الوسواس القهري وعلاقته بالعوامل الخمسة الكبرى للشخصية ، ص57.

(244) فرويد : الكَفّ والعَرَض والقَلَق ، ص 154 .

(245) مصطفى حجازي : التخلف الاجتماعيّ ، ص 254 .

(246) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(247) عباس محمود العقاد : ابن الرومي ؛ حياته من شعره ، ص 116 .

(248) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

المصادر والمراجع

أولا : المصادر :

*** ابن خَلِّكَان – أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت681هـ) :**
1- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1970م .
*** ابن رشيق القيرواني – أبو على الحسن (ت456هـ):**
2- العمدة ؛ في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط5 ، 1401هـ- 1981م .
*** ابن الروميّ- أبو الحسن عليّ بن العباس بن جُرَيج (ت283هـ):**
3- ديوان ابن الرومي ، تحقيق حسين نصار ، مركز تحقيق التراث ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، طبعة ثالثة منقحة ، 1424هـ - 2003م .
*** ابن سنان الخفاجى – أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد (ت466هـ):**
4- سر الفصاحة ، تحقيق على فوده ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط2 ، 1414هـ- 1994م .
*** الحُصْرِي القَيرَوَانِيّ – أبو إسحاق إبراهيم بن عَلِيّ بن تَمِيم الأنصاريّ (ت453هـ) :**
5- زَهْرُ الآداب وثَمَرُ الألباب ، قدم له وشرحه ووضع فهارسه صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1426هـ - 2005م .
*** الشريف الجُرْجَانِيّ - علي بن محمد الحسينيّ (816هـ) :**
6- كتاب التعريفات ؛ مُعْجَم فلسفيّ مَنْطِقِيّ صُوفِيّ فِقْهِيّ لُغَوِيّ نَحْوِيّ ، تحقيق عبد المنعم الحفني ، دار الرشاد ، القاهرة ، 1991م .
*** القاضي الجُرْجَانِيّ – أبو الحسن علي بن عبد العزيز (ت392هـ):**
7- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1386هـ- 1966م .
*** المَرْزُبَاني – أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (ت384هـ) :**
8- معجم الشعراء ، سلسلة الذخائر (93) ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، تقديم محمود علي مكي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، 2003م .
*** المسعوديّ – أبو الحسن عليّ بن الحسين (ت346هـ) :**
9- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الأندلس ، بيروت ، لبنان ، 1385هـ - 1966م .

ثانيًا : المراجع العربية :

*** إبراهيم أحمد أبو زيد :**
10- سيكولوچية الذات والتوافق ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1987م .
*** أحمد عبد الستار الجواري :**
11- الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري , المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت , ط1 , 2006م .
*** أحمد عزت راجح :**
12- أصول علم النفس ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط7 مزيدة منقحة ، 1968م .
*** أحمد محمد الزعبي :**
13- الأمراض النفسية والمشكلات السلوكية والدراسية عند الأطفال ، دار الحكمة اليمنية ، جامعة صنعاء ، 1994م .
*** أحمد محمد عبد الخالق :**

14- سيكولوجية الموت والاحتضار ، مجلس النشر العلمي ، لجنة التأليف والتعريب والنشر ، الكويت ، ط1 ، 2005م .

*** أكرم زيدان :**

15- سيكولوجية المقامر ؛ التشخيص والتنبؤ والعلاج ، سلسلة عالم المعرفة (313) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، مارس 2005م .

*** إيليا سليم الحاوي :**

16- فن الهجاء ؛ وتطوره عند العرب ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1418هـ - 1998م .

17- ابن الرومى ؛ فنه ونفسيته من خلال شعره ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط 2 ، 1980م .

*** حامد عبد القادر ومحمد عطية الإبراشي :**

18- في علم النفس ، المطبعة المصرية ، القاهرة ، ط1 ، 1352هـ- 1934م .

*** حامد عبد القادر :**

19- دراسات في علم النفس الأدبي ، لجنة البيان العربي ، المطبعة النموذجية ، القاهرة ، 1367هـ - 1949م .

*** حلمي المليجي :**

20- علم النفس المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1985م .

*** زكريا إبراهيم :**

21- مشكلة الإنسان ، مجموعة مشكلات فلسفية (2) ، مكتبة مصر ، القاهرة ، 1972م .

*** صالح حسن اليظي :**

22- أثر التشاؤم في شعر ابن الرومي ؛ رؤية نقدية تحليلية ، مركز الإسكندرية للجمع التصويري والتجارة ، الإسكندرية ، ط1 ، 1407هـ - 1987م .

*** عباس محمود العقاد :**

23- ابن الرومي ؛ حياته من شعره ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2009م .

24- مراجعات في الآداب والفنون ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، 2013م .

*** عبد الرحمن العيسوي :**

25- علم النفس الإكلينيكي ، الدار الجامعية للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1992م .

26- علم النفس العام ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2000م .

*** عبد المنعم الحفني :**

27- المعجم الفلسفي ، الدار الشرقية ، القاهرة ، ط1 ، 1410هـ - 1990م .

28- موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1975م .

*** علي علي صبح :**

29- البناء الفني للصورة الأدبية عند ابن الرومي ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، 1996م .

*** قحطان رشيد التميمي :**

30- اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري ، دار المسيرة ، بيروت ، د . ت .

*** كمال دسوقي :**

31- ذخيرة علوم النفس ، الدار الدولية ، القاهرة ، 1988م .

*** محمد محروس الشناوي :**
32- نظريات الإرشاد والعلاج النفسي ، دار غريب ، القاهرة ، د . ت .
*** محمد مياسا :**
33- الصحة النفسية والأمراض النفسية والعقلية وقايةً وعلاجًا ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1997م .
*** محمد النويهيّ :**
34- ثقافة الناقد الأدبيّ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط1 ، 1949م .
*** مصطفى حجازي :**
35- التخلف الاجتماعيّ ؛ مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ، المركز الثقافيّ العربيّ ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 9 ، 2005م .
*** وليد سرحان :**
36- الوسواس القهري ، سلسلة سلوكيات ، السلسلة السابعة ، 2008 م .
*** يوسف مراد :**
37- مبادئ علم النفس العام ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1 ، 1948م .

ثالثًا : المراجع الأجنبية المترجمة :

*** أوفيد :**
38- مسخ الكائنات ، ترجمه وقدم له ثروت عكاشة ، راجعه على الأصل اللاتيني مجدي وهبة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط1 ، 1971م .

*** برفين ، لورانس :**
39- علم الشخصية ، ترجمة عبد الحليم محمود السيد ، أيمن محمد عامر ، محمد يحيى الرخاوي ، مراجعة عبد الحليم محمود السيد ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط1 ، 2010م .
*** فرويد ، سيجموند :**
40- التحليل النفسيّ للعُصَاب الوسْاسِيّ (رَجُل الجرذان) ، ترجمة جُورج طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1987م .
41- الكَفّ والعَرَض والقَلَق ، ترجمة محمد عثمان نجاتي ، دار الشروق ، القاهرة ، ط4 ، 1409هـ - 1989م .
*** لابلانش ، جان وبونتاليس ، ج . ب. :**
42- معجم مصطلحات التحليل النفسي ، ترجمة مصطفى حجازي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط2 منقحة ، 1407هـ - 1987م .

رابعًا : الدوريات :

*** أحمد محمد عبد الخالق ، عبد الغفار عبد الحكيم الدماطي :**
43- الوسواس القهري ؛ دراسة على عينات سعودية ، مجلة دراسات نفسية ، القاهرة ، المجلد الخامس ، العدد الأول ، 1995م .
*** آمال عبد القادر جودة :**
44- الوسواس القهري وتأثيره على الصحة النفسية ، بسلم مجلة جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ، العدد (365) ، مطبعة الأمل ، القدس ، فلسطين ، 2005م .
*** عبد الله الزهراني ومحمد بني يونس :**
45- سمات الشخصية المميزة للأفراد المصابين ببعض الاضطرابات النفسية بمنطقة الباحة في المملكة العربية السعودية ، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية ، الأردن ، المجلد 3 ، العدد 2 ، 2010م .
*** نسيمة راشد الغيث :**
46- الغناء والقيان والمغنون في شعر ابن الرومي ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، الرسالة 240 ، الحولية 26 ، مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت ، 1427هـ - 2006م (مارس) .

خامسا: الرسائل الجامعية :

*** فهد بن سعيد العنزي :**
47- الوسواس القهري وعلاقته بالعوامل الخمسة الكبرى للشخصية ؛ دراسة وصفية ارتباطية ، مقدمة لاستكمال متطلبات درجة ماجستير في العلوم الاجتماعية ، كلية الدراسات العليا ، نايف ، 1427- 1428هـ .

A Summary of the Search: The effect of Obsessive Compulsive disorder in the Poetry of Ibn El Roumi

This search aims at the effect of Obsessive Compulsive disorder on the thoughts of Ibn El Roumi and his deeds and then poetry .This disorder which reflects a strong Psychological Conflict between desires

which need to be Satisfied but are met by brutal moral resistence ; because they are unacceptable ones .

This disorder affected the behavior and poetry and made him pushed by a Compelling internal feeling that was unbearable and a hidden power he couldn' t know what it was to subject to compelling thoughts and deeds .

The Obsessive Compulsive is a Psychological disorder which contains a painful feeling to the suffering person and it affects his relationships with others also it is a beginning of many Psychological problem and disorders .

This search contains a preface and three studies and a conclusion . The preface detects the definition of (Obsessive Compulsive disorder) as well as detecting the theories which explain the Obsessive Compulsive disorder behavior and Ibn El Roumi 's confession of being suffering from it in his poetry . The first study tackled the reasons why he got this disorder and the second tackled the symptoms of the Obsessive Compulsive disorder which Ibn El Roumi had and the third study detected the behavioral patterns in Ibn El Roumi ' poetry .

I have concluded that there is a strong relation between the Artistic creativity of Ibn El Roumi and his Psychological and Physical illness as This disorder controlled his personality and his contradiction result from it and This search has detected that he suffered from Obsessive Compulsive disorder and proved that .

I have used the Psychological approach which aims at studying human behavior and I made use of the artistic approach to collect and taste the texts also I benefited from the historical approach which sees the poets as a result of a certain historical and social stage .